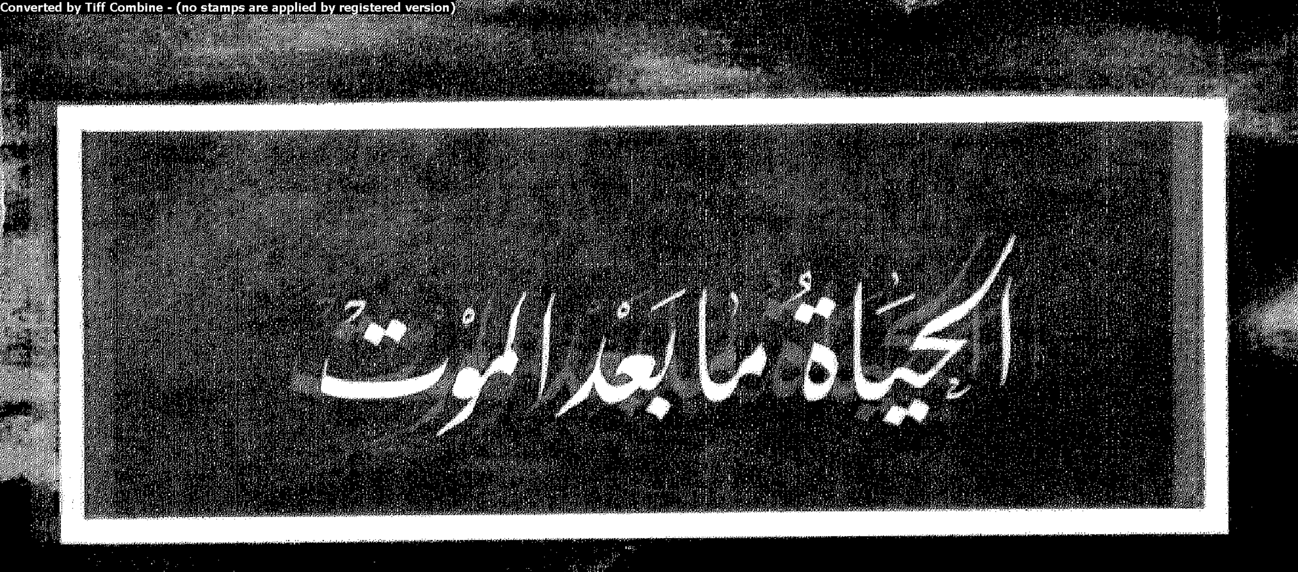
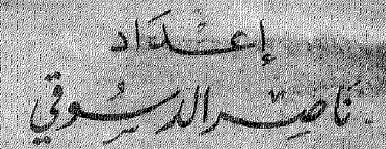
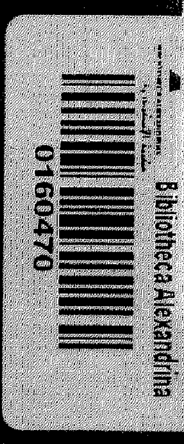

الحياة ما بعد الموت


إعداد
ناصر الدسوقي









الحياة ما بعد الموت



الحياة ما بعد الموت

إعداد
ناصر الدسوقي



منشورات
جروس برس
طرابلس - لبنان

١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

جروس برس : شارع عز الدين ص ب : ١٨٩
طرابلس ــ لبنان

مقدّمة

بعد مئة سنة من رواج مثل هذه المواضيع في أواخر القرن التاسع عشر، نعود لنجد العالم بأجمعه يبحث من جديد، ويحاول إيجاد الحلول الممكنة لكلّ هذه التساؤلات التي ستطرح في هذا الكتاب حول الحياة ما بعد الحياة، إضافة الى بعض الأعمال الخارقة للإنسان هاهنا، ومع بعض المعتقدات وما عليها وما معها... نقوم في كتابنا هذا بسرد الأحداث والوقائع التي حصلت وتحصل الآن في العالم، ولم يتوصّل الإنسان إلى الإجابة عن مضامين غموضها واستحالتها، ونترك للقارىء الكريم الاستنتاجات التي يراها ملائمة. هذا حرصاً منّا على الحفاظ على الروح العلميّة في صياغة القوانين والمبادىء.

نذكر هنا بمقطع من الكتاب المقدّس ـ العهد الجديد: «قال له إبراهيم: عندهم موسى والأنبياء فليسمعوا منهم» فأجاب «كلا يا ابتي ابراهيم، لكن إذا قام واحد من بين الأموات ووجدوه فإنهم سيتوبون» فأجاب إبراهيم: «إن لم يسمعوا من موسى

والأنبياء، حتى لو قام واحد من بين الأموات فلم يسمعوا»
(إنجيل لوقا: ١٦، ٢٩ - ٣١).

ممّا لا شك فيه أنّ الدراسات الإنسانيّة تقف موقفاً سلبيّاً من كلّ ظاهرة يقال عنها غير مألوفة Paranormal. وكانت الفكرة الأساسيّة في هذا الموقف السلبيّ هي أنّ الفلسفة الماديّة تعهّدت بتفسير كلّ ظاهرة يمكن أن تدخل في دائرة الحواس، ويدعمها في ذلك الاكتشافات العلميّة المتزايدة، سواء كان وصفها مألوفاً أم لا. وقد خيّل للإنسان في نطاق عقله المحدود وحواسه العاجزة، أنّه قد يضع يده على كنوز المعرفة كلّها، وليس عليه أن يزعج نفسه بعد الآن بالبحث عن غير هذا السبيل. سرعان ما تبيّن لعدد لا يُستهان به من العلماء والمفكّرين، منذ منتصف القرن الماضي أنّ الإنسان لم يضع يده إلاّ على مجموعة من المعارف المحدودة، وأنّه قد وقع في أخطاء لا حدّ لها في صلته بنفسه وبنواميس هذا الكون، وبالتالي في حقيقة الدور الذي يلعبه في تخطيط هذا الكون العجيب.

للإنسان دور في تخطيط الأحداث في هذا الكون يتخطّى دور كلّ المخلوقات الأخرى، بسبب ما ينعم من وعي وحرية اختيار، وهذه الحريّة تنمو بمقدار نموّ الوعي والأخلاق أيضاً، تتضامن كلّها لأداء الوظائف، وفقاً لما هو مطلوب، ومن ثمّ سعادة الإنسان أو شقاؤه، افتراسه أو إنقاذه من براثن الوحوش التي تحيا في داخله، أو من حواليه.

تتقيد حريّة الاختيار هذه بعوامل كثيرة منها بنوع خاص فطرة الإنسان القابلة للتطوّر، ويبدو أنّها عريقة فيه بمقدار عراقة الذات الروحيّة لا عراقة الجسد الماديّ، لكنّها تلعب دورًا أساسيّاً في تحديد قدره ومصيره. ولهذا السبب يكون الإنسان مسؤولاً خلقيّاً عن تصرّفاته، وكانت هذه المسؤوليّة ناموساً كونيّاً قبل أن تكون ناموساً وضعيّاً من عمل الفلسفة أو الفقه أو...

ممّا لا ريب فيه أن ما يحدّ من دور هذه الحريّة وهذه الإرادة دور التضامن الاجتماعيّ، ودور التضامن الطبيعيّ بين جميع الأجناس وجميع العصور أيضاً. فالإنسان اليوم هو ثمرة تطوّر عريق، تضامنت في تطوّره سلالات الإنسان عبر العصور من القطب الشمالي حتى خطّ الاستواء. ومهما بعدت الشقّة فالكلّ يسير في ركب واحد، ونحو غاية واحدة كما أنّ حقائق الفلسفة والاجتماع والنفس والبحث الروحي المعاصر... تشير الى وحدة المصير الإنسانيّ. فالكلّ يؤكّد أنّ سير الوجود خاضع لنواميس طبيعية مشتركة تحكم نزعات الذات الإنسانيّة وتهيمن على سلوكها الوجداني والاجتماعي والنفسي... وهذه النواميس يهيمن عليها العقل الأعظم، وتمثّل مجتمعة النظام الكوني الذي لا يقضي على إرادات أفراده لأنّ هذه الإرادات تمثّل عنصراً لا غنى عنه لنجاح هذه المسيرة ومن ثم نجاح النواميس الكونيّة التي تهيمن عليها.

كلّ هذه الأمور تشير إلى ضرورة معرفة الإنسان لنفسه ووعيه لموقعه من هذه النواميس، من هنا يمكننا تنمية الوعي ومعه حريّة

الإرادة ومن ثم كل عناصر النجاة من الأخطار الكثيرة المحيطة بالإنسان الموجودة في داخله.

إنّ جهل الإنسان لنفسه وللنظام الكوني لا يؤدّي الى الخير حتماً كما أن تجاهل العلم الوضعي لدراسة كل ظاهرة غير مألوفة هي من صور هذه الجهالة المزمنة، ذلك لأنّها تعبر عن اعتداد شديد للإنسان بمعارفه المحدودة واعتزاز بالقليل من المعرفة التي حصل عليها.

لذا أقبل عدد كبير من العلماء والمفكّرين والباحثين على دراسة الإنسان من جميع جوانبه، وعلى تحليل كافة ظواهره المألوفة وغير المألوفة... وكانت النتيجة أن تكفّلت الدراسات المثابرة بالكشف عن أغوار جديدة للحياة الإنسانية، لا بل عن حقيقة تكوينه النفسي ـ الحيويّ.

ينشأ هذا الإنسان بطريقة تكاد تكون خرافيّة، من محض انقسام في الخلايا بسبب تلافي دودة لا تراها العين، وبويضة لا تكاد تدرك أيضاً، ثم ينمو بطريقة أشدّ غرابة. ويكون نموّه الجسمانيّ مصحوباً دائماً بنموّ حيويّ في الوعي والشعور.

وكلّ نموّ يتحكّم في الآخر. ومن ثمّ ينتاب هذا الإنسان عاطفة وشعور بقدر ما ينتابه طموح، وفي نفس الوقت ينتابه قلق وخوف على نفسه، وعلى من حوله لأنّه يعلم جيّداً أنّ مصيره الى الموت، والموت بحسب الحواس مجرّد ضياع وفناء. وهو

للأسف، الكائن الحيّ الوحيد الذي يعلم هذا المصير الكئيب الذي يتهدّده من كلّ النواحي.

هكذا يسقط هذا الانسان تدريجياً، أو فجأة، وتسقط معه كل نواحي تفكيره وشعوره بلا أدنى قيمة، كما يبدو لحواسنا القاصرة، وتنتهي كلّ ظواهره المألوفة وغير المألوفة. رغم سقوطه هذا فإنّ جهود المعنييّن لا تتوقّف عن البحث في مصير هذا الإنسان، وفي التنقيب من جديد في كلّ ظواهره المألوفة وغير المألوفة، بالغاً ما بلغ قدرها من الخطورة أو التفاهة، ومن الوضوح أو الغموض، لأنّها هي في النهاية تمثّل الإنسان في حقيقته، والوجود محض فكر وشعور قبل أن يكون مادّة وطاقة، أو بوجه آخر، محض ملاك حاضر للإنقاذ قبل أن يكون وحشاً متربّصاً بالفريسة.

كلّ هذه المعطيات ستلعب مع الزمن أخطر دور في خدمة روح الإنسان قبل جسده، ومستقبله قبل حاضره، وستذلّل الكثير من متاعبه عن طريق تفهم حقائق الذات والوجود، ومن ثم تحرير وجدانه من الكثير من الأغلال والمخاوف الوهميّة التي تقف عقبة في طريق نموّه الروحيّ، وبصورة خاصة، نموّ عاطفته. وليس من عدوّ للعاطفة النقيّة كالخوف والجهالة، والانطواء والمكابرة على الحقائق...

هذا بالإضافة الى الأضواء الكثيرة التي ألقتها هذه المعطيات الجديدة على مبادىء العلوم الإنسانيّة والكونيّة في أخطر جوانبها،

وعليها يتوقّف تحديد العلاقة بين الإنسان والكون على مسار صحيح بعيد كلّ البعد عن المقاربة، أو الافتراض أو الارتجال...

لذلك كان من الواجب أن تجري هذه الدراسات الحديثة التي تلقي أضواء على الحياة ما بعد الحياة من جهة، وتحديد مصير الإنسان بوضوح من كافة الظواهر. كلّ ذلك في جوّ موضوعيّ صرف.

كلّ هذه الاعتبارات دفعتنا إلى جمع معلومات عن الحياة ما بعد الحياة، ومحاولة ارتياد هذا الميدان الجديد، واتّخاذه موضوعًا للبحث، وجمع آراء المفكّرين حوله، والذي يعتبر أحد الأبواب الرئيسيّة لعلم الروح الحديث، لا بل المدخل إليه.

إلاّ أنّ موضوع «الحياة ما بعد الحياة» يحتاج إلى الكثير من العناية والصبر والتدرّج في العرض كي يصبح مفهوماً واضحاً في أدلّته وفي دلالاته ـ وللقارىء ذي النزعة العلميّة الأصيلة أن يؤمن بالحياة الآخرة من جهة الى جانب إيمانه بالعلم أنّه يستطيع الكشف عن حقائق لا تزال غامضة وغير يقينة رغم أنّ ذلك يكون حافلاً بأسباب المشقّة والعناء نظراً لجدّيّة الموضوع، ودقّته وتشعّب نواحي البحث فيه.

لذا سنتابع عرضه في سبعة فصول متتابعة على النحو التالي:

الفصل الأوّل: بعض الآراء الدينيّة حول الموضوع.

الفصل الثاني: أدلّة تاريخيّة على وجود حياة ما بعد الحياة عبر شعوب الأرض كافة.

الفصل الثالث: التقمّص. ما له وما عليه...

الفصل الرابع: الجسد الأثيريّ أو الكوكبي...

الفصل الخامس: حالة الخروج من الجسد، أمثلة اسميّة وتطوّرات البحث.

الفصل السادس: الاتصالات بالماوراء ـ الوسيط ـ استحضار الأرواح...

الفصل السابع: اعتبارات منهجيّة.

والله المستعان ابتداءً وانتهاءً.

الفصل الأول

بعض الآراء الدينيّة

- يثير طرح موضوع « الحياة بعد الموت » على البحث ردّات فعل مختلفة ومتباينة من قِبل رجال الدين. فبعد نشر بعض الكتب في الغرب (مثل « الحياة بعد الحياة » للدكتورة إليزابيت كوبلر - روس) ثارت ثائرة البعض، بينما تقبّل آخرون الأمر بشكل طبيعيّ.

يقول أحد رجال الدين الذين قاموا بأبحاث حول هذا الموضوع: « إذا توصّلنا لإثبات وجود حياة بعد الموت - ممّا يعني بالتالي إثبات وجود الله - لا يعود للإيمان أيّ دور. يجب أن نبقي الحياة الماورائيّة موضوع إيمان وحسب. رغم ذلك، تشكّل شهادات الناس العائدين من الموت غذاء للإيمان. « بالنسبة إليّ، ازداد إيماني قوّة، لأنّي مؤمن، لكن لو لم أكن كذلك لما أقنعتني كلّ هذه الروايات »[1]. هذا رأي شخصيّ، لكن من الخطأ الاعتقاد بأنّ جميع قرّاء هذا الكتاب يشاركونه الرأي.

(١) د. اليزابيت كوبلر، الحياة بعد الحياة.

يعتقد بعض رجال الدين أنّ المهمّة الحقيقيّة للدين أخلاقيّة بالدرجة الأولى، ومرتبطة بتقدّم الإصلاحات الاجتماعيّة، وإحلال العدالة الاجتماعيّة انطلاقاً من هذه الرؤية، استنتج هؤلاء أنّ أيّ اهتمام بمسألة الحياة بعد الموت ليست له أهميّته حالياً، إذ لم تعد هذه القضيّة تهمّ الجماهير. ويقول أحدهم: «أليس من الواجب التفكير بهذا العالم قبل العالم الآخر؟ أليست لدينا كمّيّة كبيرة من المشاكل تتطلّب حلولاً هـاهنا أولاً؟» ويتابع بقوله إنّه غالباً ما استغلّ المسؤولون في الماضي فكرة الحياة بعد الموت والجنة لإلهاء الشعب عن تعاسته، ولكي لا يقوم بأيّة ردة فعل ضدّ الظلم الاجتماعيّ الذي يتعرّض له.

إنّ هذا الرأي صحيح، لكن هل يعني ذلك أنّ أحداً لم يعد يهتمّ بمعرفة ماذا وراء الموت؟ ولماذا يتوجّب علينا التخلّي عن هذا البحث في سبيل حلّ مشاكلنا اليوميّة؟ ألا يمكن أن يترافق البحثان معاً؟

لرجال الدين رأي آخر حول هذا الموضوع. فبعضهم يعتقد أن الرؤى التي تظهر للمشرفين على الموت هي من إيحاء القوى الشيطانيّة. لكن نلاحظ أنّ نتائج هذه الرؤى هي ازدياد الإيمان عند الإنسان وعند غيره ممّن يعرفون بتجـربتـه، فهـل يمكـن أن يكون هدف الشيطان زيادة الإيمان بالله عند البشر؟

يقول رأي ثالث من رجال الدين إنّ هذه الظاهرة مرتبطة بعلم الطبّ، ولا علاقة للديانة بها إذ يعتبرونها مجرّد هلوسات، بالرغم

من أنّ هذه الظاهرة تثبت معتقداتهم الدينية. بشكل عامّ لا توجد معارضة شديدة لهذا النوع من الأبحاث عند البعض من رجال الدين، بينما تثير الأبحاث نفسها اهتمام آخرين فيوافقون عليها. لكن من الضروريّ عدم استنتاج خلاصة سريعة ونهائية منها، فهناك العديد من الحدود التي نجد أنفسنا مضطرّين للوقوف عندها.

الفصل الثاني

أدلّة تاريخية على وجود حياة ما بعد الحياة

أولاً - الأدلة التاريخية لدى الشعوب على وجود حياة بعد الموت

يبـدو أنّه، في كلّ مكان وفي كلّ زمان، كان الموت فكرة غير مقبولة في حال اعتباره نهاية. فالإيمان بحياة أخرى هو أكثر من أمل، إنّه ضرورة، ضرورة تجعل الإنسان يتساءل فيما إذا كان هذا الإيمان موروثاً أم مكتسباً.

وبما أنّ العالم المرئي لا يعطي أية إجابة عن هذا القلق الأساسي، كان من الضروري التخيّل، الإيمان. وقد اقترحت تقول الأديان بعالم آخر تستمرّ فيه الحياة. فاليهود والمسيحيون والمسلمون يؤمنون بالقيامة، أمّا البوذيون والهندوسيون فبالتقمّص. إلى جانب هذه الأديان الكبيرة المستمرّة حتى اليوم، نرى أنّه من المهمّ أن نظهر ما أثّرت الأديان، على معتقداتنا ووعينا وثقافتنا. بالنسبة لفكرة حياة الإنسان بعد الموت منذ ما قبل التاريخ، نجد آثاراً مهمّة عن هذه الفكرة: فقد كان الميت يدفن تحت مجموعة من الحجارة مع أدوات عمله (منذ ٧٠,٠٠٠ إلى ٥٠,٠٠٠ سنة تقريباً). وقد وجدت في العراق في شانيدار على الحدود التركية ثمانية هياكل عظمية للإنسان الأوّل، وهي

أقدم آثار من نوعها. منذ ٣٥,٠٠٠ حتى ١٠,٠٠٠ سنة، كان الأموات يدفنون في المغاور أو تحت بيوت الأحياء، وهي طريقة رمزيّة توحي بأنّ الميت لا يزال يحيا مع عائلته. فكانت الجثة تُدهن بمادة حمراء ممّا يعطيها «حياة» في العالم الآخر؛ وقد اكتشفت آثار من هذا النوع في إيطاليا. بعد ذلك ظهرت أولى المقابر حيث كان يدفن الميت في مغارة تُسدّ بجدران من كلّ الجهات. من الملاحظ أنّ الجثة تكون منطوية مثل وَضع الجنين، ومغطاة بأغراض الميت ومعه السهم، الأباريق... وتوضع قربه هدايا من الطعام تكون له غذاء في إقامته في العالم الآخر.

هذه التفاصيل تظهر عند البشر الذين عاشوا في ما قبل التاريخ همّاً دائماً، وهو أنّهم يجب أن يستمروا في الاهتمام بمصير الميت، وذلك لأنّه يحيا حياة ثانية، كما أنّهم كانوا يخافون أن يعود ليعذّبهم. وإنّ وجود هياكل عظمية متينة في الأرض يحمل على الاعتقاد بأنّ التابوت ليس مجرّد مكان لجثة بل سجن لها. وفي الواقع، إنّ العلاقات بين الأحياء والموتى تختلف: فحيناً يكون الموتى مصدر الخوف (وتنسب اليهم المجاعات والمصائب)، وأحياناً مصدر عاطفة (حين يدفنون تحت البيت مثلاً). لكنّهم كانوا يملكون القناعة بأنّ الميت لم ينتهِ. بعد انتهاء هذه المرحلة التي تُعدّ ما قبل تاريخيّة، يبدأ التاريخ بالانقسام، وتقترح كلّ ديانة حلاًّ خاصاً لمشكلة الحياة بعد الموت.

أ ـ السلتيون: الأبدية المريحة:

تحتوي المقابر السلتية على «أثاث» جنائزي كامل: كراسي، أسلحة، (وحتى رفقاء أسلحة، باختيارهم) مال، زينة،... نستطيع هنا أن نرى الدليل ليس فقط على الإيمان بحياة أُخرى، بل أيضاً على نوع من الرفض للتغيير.

الجرمانيّون: مأدبة للأبطال:

كما العديد من الهندو ـ أوروبيين، كان الجرمانيّون يحرقون أمواتهم، ويعتبرون رمادهم، فيما بعد، بيت الأموات الأسطوريّ أو الوالهالا Walhalla: كلّ صباح، عند صياح الديك، يخرج الأبطال الذين ماتوا في ساحة الشرف لمصارعة الشرّ بجانب الإله أودين Odin. في المساء، تشفى الجروح ويمضي المحاربون السهرة على مائدة في قصر أودين. هذا المكان مخصّص للأبطال والملوك، أمّا البشر العاديون فكانوا يحيون في المياه المظلمة والباردة: الهيل Le Hel.

ب ـ الشمانيّة: نحو البحث عن النفس الهاربة:

إنّ الشمانيّة التي ولدت على الأرجح في صحاري آسيا الوسطى وسيبيريا والتي ليست سوى مجموعة من التقنيات والعادات، لم تبق في هذه الأنحاء فحسب، بل امتدّت الى الهنود في الأميركيّتين، وإلى استراليا والتيبت حيث الشفاء العجيب، والقدرات الفائقة الطبيعية، والرحلة إلى السماء والجحيم، وقيادة

النفوس إلى بلاد الأموات، و« الانتحار »، والقيامة، واسترجاع النفس،... وبما أنّهم ينظرون الى الموت على أنّه رحيل النفس، فقد كان دور الشمانيّ أن يُرجعها بأقصى سرعة حتى لا تكون فريسة للقوى السيّئة.

والشماني في حالة النشوة يزدوج ويمشي في العوالم الأخرى، في السماء، أو في الجحيم. هو الوحيد القادر على إيجاد النفس الهاربة ليُدخلها في جسد جديد. لأجل هذه الرحلة، يستعمل الشماني الأغذية الموجودة في تابوت الميت، كما أنّه يجب عليه أن يسهر حتى لا يعود الميت ليعذّب الأحياء. هنا نجد فكرة موجودة في العديد من الأديان البدائيّة مفادها أنّ الأموات حديثاً يصرّون أنّهم ليسوا كذلك، وعلى الأحياء أن يشرحوا لهم هذه الحقيقة.

ج - في مصر: كتاب للرحلة:

قبل الفراعنة، تملّك سكان النيل هاجس الماورائيّات. وكانت حياتهم الاجتماعيّة والدينية والسياسيّة موسومة بهذا الطابع. بالنسبة لهم، الموت ليس نهاية بل بداية، مرحلة تحوّل الفرد لكي يستطيع الاشتراك في حركة الكون الدائمة. وتعتبر الميثافيزيقيّة المصرية أنّ في الإنسان ٦ أجزاء: ٣ منها ماديّة (الجسم المادي، الاسم والخيال) و٣ منها روحية: النفس بـا Ba، الروح أخ Akh، ومبدأ روحي هو الكا Le Ka، أي الجزء من الأبديّة الذي يتلقّاه الإنسان حتى قبل ولادته، وهو ضمان أبديّته. وطوال رحلته نحو

حياته الجديدة، ترافق الكا Le Ka الميتَ، وهي ستساعده على الفرار من الآلهة القساة والمسلّحين بالخناجر، وعلى الانتصار على التجارب التي تواجهه، وعلى اكتشاف الحيل. ويستمدّ الميت عِلْمه من كتاب يضعه الكهنة قرب المومياء، ويُعرف عامة باسم «كتاب الأموات»، وهو يحمل عدّة عناوين: «الخروج نحو نور النهار»، و«كتاب الأبواب»،...

يحتوي هذا الكتاب على التعليمات التي تسمح للميت أن يعبر بلاد الأعماق، وتحت حماية الكلمات السحريّة، تُفتح الأبواب، وتحفظ الروح دوماً اسم الميت الثاني، اسمه في الأبديّة، إذ بدونه لا يستطيع ان يحيا في العالم الآخر حيث لا يعرفه الآلهة إلاّ بهذا الاسم، ويستطيع بدون خوف أن يبدو أمام الإله أوزيريس، القاضي الكبير، وأمام القضاة الموجودين خلفه. وقبل أن يتوجّه الميت الى الجحيم أو إلى الجنّة، يُوزَنُ قلبه، أي ضميره، في ميزان الآلهة ليُحكم عليه. هكذا وضع المصريّون فكرة العدالة بعد الموت والحياة الجديدة.

د ـ في بلاد ما بين النهرين: الجحيم بلا عودة:

في بلاد ما بين النهرين، مملكة الموت هي بلاد الظلمات. ليس من حياة بعد الموت سوى في الجحيم وهو عبارة عن دائرة محاطة بسبعة جدران، وفيها سبعة أبواب. ولكي تصل نفس الميت الى هذا المكان، يجب ان تقطع نهراً ثم تقطع كلاً من الجدران السبعة فتتعرّى، على كلّ جدار، من ثيابها شيئاً فشيئاً

حتى تصل الى قلب الجحيم، وهو عالم بلا نور ولا أمل: الأرالّلو l'Arallou.

والتشاؤم هو الفكرة التي تميّز الحياة بعد الموت في هذه البلاد. وقد قرّر جلجامش البطل أن ينتصر على الموت بعد نهاية صديقه أنكيدو التعيسة. كان يعلم أنّه يوجد خالد واحد هو أوثنابيشتيم. فقال له هذا الأخير إنّه إذا توصّل الى السّهر ستة أيام وسبع ليال، يستطيع أن ينتصر على الموت لأنّ النوم مشابه للموت. كيف نفسّر رمزياً هذه النصيحة؟ ان تبقى مستفيقاً يعني أن تبقى واعياً، وكأنّ الوعي هو الذي يوصل الى الخلود. لكنّ جلجامش نام. وهكذا نكتشف انّ الخلود مخصّص للآلهة، وأنّ البشر، حتى ـ لو كانوا أبطالاً، لن يحصلوا عليه.

هـ ـ في ايران: صراع الخير والشر:

ـ نجد في الافيستا l'Avesta (القرن السابع قبل المسيح) ولأوّل مرّة فكرة الخلاص والثواب والمسؤوليّة. كما أنّ الأخلاق تلعب دوراً في الحياة المستقبليّة. فحسب فكرة زرادشت أو المازوية فإنّ كلّ إنسان يساهم في حياته في الصراع بين الشرّ (أهريمان) والخير (أور موزد). بعد الموت، تَتـيه النفس ثلاثـة أيام وتطاردها خلال ذلك أعمالها الحسنة والسيئة، ثم تتوجّه الى مكان تُدان فيه بحسب هذه الأعمال، وتلتقي بضميرها على صورة فتاة مشعّة إذا كان الميت ممّن يمارسون الفضيلة، وعلى صورة ساحرة إذا عاش حياة سيّئة، بعدها تُقاد النفس إلى قمة

البورز حيث توجد المحكمة وفيها ثلاثة قضاة؛ هناك يتمّ وزن أعمال الميت مثلما يحدث عند المصريّين. بعد ذلك تقطع جسر سينڤا الشهير والضيق مثل شعرة، فإذا وقعت ففي الجحيم، والجحيم الزرادشتي ليس ناراً، بل برداً وظلاماً، تكون النفوس فيه متلاصقة بدون أن تتعارف، ويؤذيها الشياطين بالعضّ والقرص. أمّا إذا قطعت الجسر فتصل إلى مكان تسوده السعادة التي تعني العيش قرب الله في النور الأزليّ. بين النعيم والجحيم، يفترض الزرادشتيّون وجود منطقة حياديّة، «بيت الأوزان المتكافئة»، تنتظر فيها النفوس التي لم تمارس الفضيلة كثيراً، كما أنّها لم ترتكب الإثم طويلاً، وذلك بانتظار القيامة. أمّا القيامة فتكون بانتهاء الصراع بين الخير والشرّ لصالح الخير. فالزرادشتيّون يؤمنون بقيامة الجسد. عندها يتمّ الفصل بين الأشرار، ويتمّ تجديد العالم، ويشرب الجميع مياه الخلود.

و ـ في اليونان: ثمار الخلود:

تطوّرَ رأي الإغريق في العالم الآخر، وتغيّر عبر الأجيال والمعتقدات والفلسفات. وقد دلّت الأبحاث أنّ اليونان آمنوا بالحياة بعد الموت منذ حوالى ٢٠٠٠ سنة قبل المسيح.

في الألياذة، يرى أشيل خيال صديقه باتروكل ويستنتج أنّ الحياة تستمرّ بعد الموت تحت شكل غير ماديّ. وقد حاول هوميروس وهيزيود أن يتخيّلوا بلاداً لهؤلاء الموتى في حياتهم الثانية، فكانت مملكة هاديس وزوجته پرسيفون، وهو مكان

« يخيف الآلهة أنفسهم » على حدّ قول أشيل. وتحيا النفوس في هذا المكان دون أمل، أو فرح، وتطاردهم ذكرى حياتهم السابقة. تحيط بهذه المملكة أربعة أنهر: الستيكس، الأشيرون، الكوسيت والبيريفليجيتون. وشارون هو من يحمل النفوس في قاربه ليقطع الأنهر بهم ليصلوا أمام سيـربير وهو وحش يقبض على كلب وحية، ومكلّف بحراسة مدخل الجحيم ليمنع النفوس من الخروج. لكنّ هرقل نجح في الخروج من ذلك المكان وفي إنقاذ البطل تيزيه. هذا النصر صار، فيما بعد، دليلاً على إمكانيّة الخلود. وكما في مصر كذلك في اليونان، الذين كان لديهم تصوّر جغرافيّ للعالم الآخر، وفكرة عن الدينونة. فالصالحون يذهبون الى مكان جميل هو الشانزيليزيه، أمّا الأشرار فإلى التارتار.

مع أفلاطون، ظهرت فكرة تتلخّص في أنّ النفس سجينة الجسد وتعود الى الأعالي حين تتحرّر من هذا السجّان. فإذا كانت صالحة عادت إلى مملكة المُثُل. أمّا إذا كانت شريرة فإنها تبدأ بسلسلة من التحوّلات قد تدوم ١٠ آلاف سنة. أمّا بالنسبة لسقراط فقد كان ينظر الى موته بطريقة هادئة إذ كان يعتبره مجرَّد عبور من عالم إلى آخر.

ويعتبر أرسطو أنّ النفس مبدأ حيويّ، ممّا يجعلنا نستنتج أنّه متى اختفى الجسد، اختفى المبدأ الحيويّ أيضاً. لكنّ مبدأ الفكر يستطيع أن يعطي الإنسان خلوداً أو بمعنى أصحّ مشاركة في الألوهة. أمّا بالنسبة لبلوتارك فالإنسان يتألّف من ثلاثة أجزاء: الجسد والنفس والروح.

ز ـ في اليابان: الشنتوية، طريق الكاميس:

تنضوي تحت اسم الشنتوية مجموعة الاعتقادات الدينيّة اليابانية الماقبل البوذيّة. والكاميس هم الآلهة ونفوس الأجداد في الوقت عينه.

تستمرّ روح الميت في الحياة مع الأحياء وتشترك بطريقة غير منظورة معهم بحياتهم. لذلك كان على كلّ شخص أن يسترضيهم (أي الموتى) بإعطائهم الهدايا واحترام ذكراهم. كلّ إنسان يتوصّل إلى هذه المرحلة بعد موته دون أيّة مأثرة أخلاقيّة. وتقول الشنتويّة إنّ النفس تبقى بهذه الحالة ١٠٠ عام، تتقمّص بعدها بشخصيّة جديدة. والبواخر التي اكتُشفت في القبور تجعلنا نعتقد أنّ الشنتويّة كانت تؤمن بأنّ النفس تعبر بهذه البواخر الطريق نحو العالم الآخر الموجود فيما وراء البحار، ويُطلق عليه اسم التوكويد أي «بلاد اللاتغيّر»، ممّا يعني فكرة اللاّشيخوخة، واللاّموت والخلود. ونجد في بعض الأخبار الأسطوريّة فكرة وجود جهنم (اليومو) حيث يعيش الموتى حياة شبيهة بحياة الأرض ولكنّها أقلّ سعادة.

ح ـ في الصين: الطاويّة وصفات الخلود:

تعتبر الطاوية من أهم الديانات الموجودة في الصين. وكلمة الطاو Tao تعني الطريق. إنّها البحث عن حياة طويلة، أو الخلود، بواسطة التأمّل والتحرّر من كلّ شيء حتى من النفس. ويتوصّل الإنسان من خلالها إلى حالة من الإشعاع، يشعر معها بأنّ جسده

قد تبخّر، وأنّه لم يعد خاضعاً للجاذبية، ويمكنه أن يحيا مع العصافير، وهكذا لا يعود هناك من مكان للموت. ويتوصّل إلى حالة « يزول معها الحاضر والماضي فيكون لا ميتاً ولا حيّاً »، كما يقول تشوانغ تسو.

كانت تُعتبر الشيَع الطاويّة حاملة أسرار. فشيعة الماو مثلاً تستعمل الوسطاء لتتكلّم مع الخالدين. أمّا شيعة التاوتو كينغ فتملك فن عدم الموت. وحسب التقاليد فإنّ وايپو يانغ نجح في صنع حبوب للخلود، وبعد أن تناولهم هو وكلبه غادرا الأرض والتحقا بالخالدين على جزر الجنّة.

والخلود مرتبط بعدد الأعمال الحسنة التي يقوم بها الإنسان خلال حياته. ويعتبر كبار المعلّمين الطاويين أنّ التشبّه بالمبدأ الحيويّ للكون خلال الحياة يُوصل الإنسان الى حالة فوق الوقت وبالتالي فوق الموت.

ط ـ في أفريقيا:

إنّ للديانات الافريقيّة مَيْلاً خاصاً نحو الإبقاء على علاقة حميمة مع الطبيعة. المعبد هو دوماً عضو طبيعي. فمثلاً، تعبد إحدى القبائل النبع كرمز للقيامة. والأماكن المقدّسة قد تكون أيضاً الحجارة، الجبال، الأشجار،... وكما في الطبيعة، يعتبر الموت تجدّداً للإنسان، فالوجود الإنساني المتّصل بالطبيعة ليس له نهاية.

ي ـ في أميركا الجنوبيّة: الخوف من الأرواح:

عند الأنكا، في البيرو، يقول مَثَل: « نزرع موتى فنحصد

أحياء ». فعلى قدر ما يكون الفرد مفيداً للمجتمع في حياته، على قدر ما يكون سعيداً بعد موته، ويتوصّل الى الاتّصال بإله الشمس. أمّا الأشرار فيعيشون في جهنم تحت الأرض حيث يعانون الجوع والبرد؛ أمّا الكهنة والأمبراطور وعائلته فيصلون فوراً الى الجنة لأنّهم من أبناء الإله.

ثانياً: أدلّة على وجود حياة بعد الموت

- حين نفكّر بالموت، أو نتحدَّث عنه، نعتقد أنّنا نعلم ماذا تعني هذه الكلمة. فإذا سُئلنا، أجبنا، بعد برهة قصيرة من التفكير، أنّ الموت حالة كائن حيّ فَقَدَ نهائياً كل القدرات (من حرارة وتنفّس وكلام...) التي ترتبط بكلمة « حياة »، فلا يعود سوى كتلة من اللحم الجامد الأخرس الذي سيتحلّل فيما بعد. بالإضافة الى ذلك، نعلم أننا جميعاً سائرون الى هذا المصير.

رغم ذلك، يبقى الموت بالنسبة إلينا سرّاً. فكلّ الاكتشافات العلمية تقف عند حدّ تحديد ما هو ميت وما هو حيّ، لكنّ العلم لم يكتشف شيئاً بالنسبة لأولئك الذين لا يعتقدون أنّ الإنسان مجرَّد خليط من العناصر الماديّة، تتحلّل نهائياً بموته. ويبقى السؤال الكبير: ماذا بعد الموت؟

في هذا المجال، لدينا شهادات العديد من الأشخاص الذين أشرفوا على الموت، وأخبروا فيما بعد عمّا رأوه وهُم في تلك الحالة. من المُلاحظ أنّ معظم هؤلاء ذكروا في رواياتهم عبارة:

« مدينة من النور » ممّا يذكّر بالعديد من الأوصاف التي نجدها في الكتب الدينيّة.

يقول رجل متوسط العمر توقّف قلبه ثم عاد الى الحياة:

« ... توقّف قلبي عن النبضان، واعتُبرت ميتاً « طبيّاً » (...) أذكر كلّ شيء بوضوح شديد (...) أحسست فجأةً أنني منحدر؛ وسمعت أصواتاً بعيدة (...) أثناء هذا الوقت، كنت واعياً بشكل كامل لِمَا يحدث. سمعت صوت الآلة التي تسجّل نبضات قلبي، سمعتها تتوقف. رأيت الممرضة تدخل الى الغرفة وتطلب رقماً على الهاتف؛ بعد ذلك وصل الأطبّاء والممرّضون والممرّضات.

وبينما كان كلّ شيء يتحوّل إلى ضباب، سمعت صوتاً أعجز عن وصفه؛ كان مثل ضربات طبل سريع، صوت قويّ كفيضان يصبّ في حنجرة. ثمّ شعرت أنّني أرتفع حتى أصبحت على علوّ متر تقريباً من جسدي وكان في مقدوري رؤيته ورؤية الأطبّاء، وهم يحاولون إعادة إحيائي. لم أكن خائفاً ولا متألّماً: سلام كامل. بعد ثانية أو ثانيتين ربّما، استدرت وصعدت الى فوق. كان الظلام شديداً وكأنّني في نقب أو في قناة؛ بعدها رأيت نوراً قويّاً راح يزداد شيئاً فشيئاً وأحسست أنّني أعْبُرُه.

فجأةً رأيت نفسي في مكان آخر يحيط بي نور ذهبي جميل جدّاً، لم أستطع أن أميّز مصدره؛ كان ينير كلّ شيء، وفي الوقت نفسه، وكأنّه قادم من كلّ شيء. سمعت أيضاً موسيقى.

فوجدتني في منطقة جبليّة فيها أنهار وأشجار وجبال. لكن، بعد أن نظرت حولي، اكتشفت أنّهم ليسوا بشجر حقيقيّ، ولا أيّ شيء معروف. ما بدا لي غريباً هو وجود بشر لا تحت مظهر جسديّ ملموس: كانوا موجودين وحسب.

شعرت بالسلام المطلق وبالسعادة... وبالحبّ. وخامرني انطباع بأنّني أندمج بكلّ ذلك. يمكن أن يكون هذا الإحساس قد استمرّ طوال الليل أو ثانية واحدة فقط: لا أدري...».

وهذا وصف امرأة مرّت بنفس الحالة:

«حدث نوع من التموّجات حولي، محيطة بجسدي، ولم أكن أعلم مصدره. لكن بينما صار كلّ شيء يرتعش ويتموّج، كنت وكأنّني مقسومة الى جزئين، وكان بإمكاني رؤية جسدي (...) بقيت كذلك فترة أراقب الطبيب والممرّضات، وهم يحاولون إعادتي الى الحياة، وتساءلت: ماذا سيحدث بعد ذلك (...). كنت على رأس السرير، وحين انحنت إحدى الممرّضات فوق السرير لتمسك بقناع الاوكسيجين، مرّت يدها «عبر» عنقي... بعد ذلك، رحت أرتفع، ثم مررت بقناة مظلمة (...). عبرتُ القناة حتى وصلت الى مكان يملأه نور عظيم (...). بعد فترة قصيرة، وجدتني مع جدي وجدتي، ومع أبي وأخي الذين ماتوا (...). كان النور في كلّ مكان، نور جميل ولامع؛ وكان المكان الذي يحيط بنا جميلاً أيضاً ومليئاً بألوان حيّة لا توصف، لم أرَ لها مثيلاً على الأرض. رأيت أيضاً بشراً سعداء للغاية

(...) ، يحيطون بنا في مجموعات ، وبعضهم كان يدرس.

في البعيد ، (...) أبصرت مدينة فيها بيوت كبيرة تلمع ، والمقيمون فيها سعداء للغاية. رأيت أيضاً ينابيع متدفّقة وسواقي (...) مدينة من النور : هذا هو الاسم الذي أُطلقه على ما رأيت. كان ذلك رائعاً. سمعت أيضاً موسيقى جميلة. لكن لو دخلت الى تلك المدينة لَمَا كنت خرجت منها أبداً ... قيل لي إنّ ذهابي اليها يعني عدم عودتي ... وتُرك لي الخيار ».

ويروي رجل متقدّم في السن :

« كنت جالساً على كرسيّ. وقفت فإذا بشيء ما يضرب صدري (...) اتّكأت على الحائط ثم جلست ، لكني تلقيت ضربة أخرى (...) كنت في المستشفى (...) وقيل لي إنّ قلبي توقّف. كان الطبيب موجوداً ».

ـ وما هي الذكريات التي تحتفظ بها ؟

« وجدت نفسي في مكان ... مكان جميل حقاً ، لكنّي أعجز عن وصفه. حين نصل من الجهة الأخرى ، يوجد نهر سطحه ناعم كأنه زجاج ... أجل ، أجل ، عبرت نهراً ».

ـ بأية طريقة بدا لك أنّك عبرت هذا النهر ؟

« سيراً على الأقدام ، بكل بساطة. لكن ذلك كان رائعاً ! هناك أشياء جميلة على الأرض لكن لا وجه للمقارنة بينهما. كلّ شيء هادىء ، فكان للراحة حقاً ».

أ ـ لقاء مع أرواح تائهة:

ـ يؤكّد بعض الأشخاص أنّهم التقوا خلال رحلتهم كائنات تبدو وكأنّها «واقعة في فخ»، وفي حالة سيئة للغاية. وتتطابق رؤى كثيرين في هذا الموضوع حول العديد من النقاط. أكّد بعضهم في البدء أنّ هؤلاء الأشخاص عاجزون عن تفكيك الصلات التي تربطهم بالعالم الماديّ. ويشرح شاهد أنّ هذه الأرواح «غير قادرة على الارتفاع إلى العالم الآخر، لأنّ إلٰهها ما زال على الأرض»، بمعنى أنّها لا تزال متعلّقة بشيء خاص: بإنسان، بمادّة ما على الأرض، وستبقى على تلك الحالة حتى تتمكّن من حلّ المشكلة أو الصعوبة التي تفرض عليهم ذلك الاضطراب.

كلّ ذلك واضح في شهادة امرأة اعتُبرت «ميتة» خلال ١٥ دقيقة:

سؤال: تحدثتِ عن أرواح تبدو وكأنّها في حالة اضطراب عقلي. هل بإمكانك أن تخبريني أكثر عنها؟

جواب: الأرواح التائهة؟ لا أعرف بالضبط أين رأيتها... لكن، بينما كنت أسير، مررت بمكان حزين متناقض مع النور، فيه أشخاص هم الأقرب شكلاً إلى البشر الموجودين على الأرض.

يكون إحساسك حين تراهم ورؤوسهم منحنية الى الأسفل، تعساء وكأنّهم محكومون بالأشغال الشاقة... وكأنّهم يتنقّلون دون

توقّف، غير أنّهم لا يذهبون إلى أيّ مكان، الى اليسار ثم إلى اليمين، دون هدف، دون أمل، دون فرح. يبحثون عن شيء ما أجهله».

سؤال: هل كانوا يَعون وجود عالم ماديّ؟

جواب: لا يبدو أنّهم يعون أيّ شيء على الإطلاق - لا العالم الماديّ ولا العالم الروحيّ، وكأنّهم موجودون بين الاثنين. على الأقلّ، هذا ما بدا لي. يمكن أن تكون لهم علاقات لا تزال تربطهم بالأرض، لأنّهم كانوا منحنين ينظرون الى الأسفل... ربّما كان لديهم عمل لم يتمّوه، أو عليهم أن يتمّوه. كانوا عاجزين عن اتخاذ قرار، وكان اليأس يغمر وجوههم التـي فقـدت لون الحياة.

سؤال: هل كانوا، بالنسبة اليكِ، في حالة وسط بين العالم الماديّ والعالم الذي كنتِ فيه؟

جواب: «أذكر أنّني قطعت هذه المرحلة بعد أن تركت المستشفى، وقبل أن أدخل القناة التي تحدّثت عنها، أي قبل أن أصل الى مدينة النور. في ذلك المكان، يسيطر لون رماديّ حزين وكأنّنا نشاهد فيلماً بالأبيض والأسود. كانوا متردّدين، ولا يبدو عليهم أنَّهم يرونني، أو يشعرون بوجودي. كانوا ينظرون الى الوراء عاجزين عن المتابعة، أو عن العودة الى أجسادهم المادية».

لاحظ آخرون أنّ هؤلاء الكائنات يحاولون، دون جدوى، الاتصال بأشخاص أحياء. يقول رجل اعتُبر «ميتاً» لفترة معيّنة: إنّـه

شاهد رجلاً عاديّاً يسير في شارع دون أن يدري أنّ أحد هذه الأرواح يسبح فوقه، روح أمه التي عجزت عن التخلّي عن دورها، فكانت تحاول أن تُرشد ابنها.

وتعطي امرأة مثلاً آخر في الحديث التالي:

سؤال: هل رأيتِ أحداً من هذه الكائنات يحاول الاتصال بأحياء؟

جواب: أوه... رأيتهم يحاولون الاتصال لكن أحداً لا ينتبه لوجودهم.

سؤال: ألَدَيْكِ فكرة عمّا يحاولون قوله؟

جواب: رأيت امرأة تحاول بجهد الظهور لأطفال ولامرأة أخرى مسنّة. فكّرت أنّه يمكن أن تكون أم هؤلاء الأطفال، ربّما أيضاً ابنة المرأة العجوز. حاولت عبثاً أن تجذب انتباههم: تابعوا أعمالهم وكأنّ شيئاً لم يكن.

سؤال: هل أرادت أن تقول لهم شيئاً معيّناً؟

جواب: بدا عليها وكأنها تريد أن تشرح لهم ماذا يجب أن يفعلوا، وكأنّها تبغي تغيير طريقة حياتهم وكأنها تريدهم أن يتصرّفوا بشكل أصحّ حتى لا يصلوا الى الحالة التي وصلت اليها هي.

لست أريد أن أشرح درساً في الأخلاق، لكنّها كانت تطلب منهم أن يحبّوا بعضهم، وكأنّها بذلك تكفّر عن خطيئة!

ارتكبتها ... على أية حال، لقد عشت تجربة لن أنساها أبداً.

ب ـ مساعدات من خارج الطبيعة:

في بعض رواياتهم، يؤكّد الأشخاص «العائدون من الموت» أنّ قوّة روحيّة ساعدتهم على العودة الى العالم الأرضيّ. في كلّ من هذه الحالات، يتعرّض الشخص لحادث مميت أو لسلسلة من الحوادث يعجز عن التحرّر منها بوسائله الخاصة، فيصل الى مرحلة الاستسلام والقبول بالموت. لكن، في اللحظة الأخيرة، يأتي صوت أو ضوء لينقذه. ويـؤكّد كلّ الذين عاشوا هذه التجربة أنّ حياتهم بعدها تبدّلت تماماً؛ إذ توصّلوا الى الاعتقاد بأنّهم لم يموتوا من أجل غاية معيّنة ممّا زاد إيمانهم درجات.

إليكم جزء من شهادة رجل أُنقذ من الموت بهذه الطريقة: أثناء عمله في أحد المصانع، وقع في جرن كبير فيه مضخة ذات ضغط عال تطلق بخاراً وحامضاً محرقاً:

«كانت الحرارة خانقة، فرُحتُ أصرخ: «أخرجوني من هنا!» التجأت الى المكان الأبعد، لكنّ السائل بلغ درجة مرتفعة جداً للغاية؛ عندئذٍ فهمت أنّني سأموت بعد دقائق، فاستسلمت للواقع وأغمضت عينيّ. رغم ذلك، بدا لي أنّ المكان أصبح مضيئاً بنور عظيم وسمعت آية في الإنجيل تقول: «ها إنّني معك دائماً». فتبعت النور فوصلت الى مكان يمكن لي الخروج من خلاله».

سؤال: هل تبدّلت حياتك بعد هذه الحادثة؟

جواب: أنا واثق أنّ الله هو الذي ساعدني لأخرج؛ لكن، لماذا؟ لا أدري. في تلك الفترة، كنت بعيداً للغاية عن الله. بعد هذه الحادثة، اِقتربت منه كثيراً، رغم أنّ مشاكلي لا زالت كثيرة، لكنّي تعلّمت أن أثق بالله.

سؤال: ذلك الصوت الذي سمعته، هل يشبه صوت إنسان عاديّ؟

جواب: كلا، كان الصوت رائعاً وكبيراً. لقد سمعته وتبعته ولذلك نجوت... لو لم أسمعه لمَا تجرّأت على السير وسط هذه الحرارة. كان الصوت يأمرني أن أتقدّم.

سؤال: كم من الوقت استمرّ ذلك؟

جواب: بدا الوقت طويلاً، طويلاً للغاية. لا أستطيع تقييمه بشكل صحيح.

سؤال: والنور، هل يشبه أيّ نور عاديّ؟

جواب: كلا، لا يشبه أي نور رأيته سابقاً... يمكنني أن أشبّهه بنور الشمس حين ننظر إلى الشمس مباشرة، لكنّ عيوني لم تنزعج من قوّة النور كما هي الحال مع نور الشمس.

ويروي رجل آخر:

«حدث ذلك خلال الحرب العالمية الثانية؛ كنت أخدم في إحدى الثكنات، في أوروبا، حين رأيت طائرة عدوّة تتجه نحو المبنى الذي كنت فيه، وتطلق النار علينا... فغمرنا الغبار

جميعنا. شعرتُ بالخوف الشديد، معتقداً أنّنا مائتون لا محالة. لم أرَ شيئاً، لكنّي شعرت بوجود رائع، مريح بالقرب منّي، وبصوت هادىء حنون يقول لي: «أنا معك. ساعتُك لم تأتِ بعد». أحسست عندئذٍ بالراحة وبالسلام... منذ ذلك اليوم، لم أعد أشعر بالخوف من الموت».

أخيراً، اليكم رواية امرأة كانت مريضة. من الملاحظ في هذا المثل انّ هذه المرأة اقتيدت نحو قيامتها الخاصة من الموت:

«قطع الأطبّاء كلّ أمل في شفائي، وأكّدوا أنّني مائتة لا محالة... وصلتُ الى حالة شعرتُ معها أنّ الحياة تخرج من جسدي، كنت لا أزال أسمع ما يُقال حولي، لكنّي لم أعد أرى شيئاً. تمنّيت أن أعيش لكي أربّي أطفالي وألعب دوراً في حياتهم. عندها سمعت صوت الله يكلّمني، صوتاً هادئاً وطيّباً. لم أكن أهلوس... وصارت أصوات الآخرين تصلني، وكأنّها بعيدة؛ كان صوته هو يسيطر على كلّ شيء. قال لي إنّه عليّ أن أتنفّس إذا كنت أريد أن أحيا. ففعلت وأحسست فوراً أنّ الحياة تعود الى جسدي. ثم طلب منّي أن أتنفّس من جديد فعادت الحياة اليّ...

دُهش الأطبّاء لأنّهم كانوا يظنّون أنّه لا أمل في شفائي، ولم يسمعوا ذلك الصوت».

في نهاية هذا الفصل، من المفيد التنويه أنّ حوادث كهذه ليست كثيرة بل إنّها نادرة للغاية، كما أنّه من المُلاحظ أنّ

شهادات هؤلاء متشابهة في العديد من النقاط.

أشير في النهاية إلى أنّ الأشخاص المعنيين ليسوا ممّن يهتمّون بالماورائيّات ولا يملكون أيّة معلومات عن هذا الموضوع، ورغم ذلك، لا يشكّون مطلقاً في صحّة وحقيقة ما جرى لهم.

الفصل الثالث:

التقمُّص

١ - تمهيد

منذ فجر التّاريخ، وقف الإنسان أمام جسد بشريّ، وقد فارق الحياة، وراح يتأمّله بلوعة وأسى، متسائلاً عن مصير تلك القوّة غير المنظورة التي كانت تمدّه بالحيويّة، والنّشاط. وقد عاين الجسد فرآه يبلى ويزول، ولكنّ القوّة التي كانت تمدّه بالحياة، أبى أن يكون عالمها الى زوال، واعتبر أنّها فارقت الجسد، وهي تبحث من جديد لتظهر في مكان آخر في جسد آخر تختاره.

وفكرة عودة الحياة هي ظاهرة طبيعيّة يعاينها الإنسان في كلّ زمان ومكان، فالطبيعة تموت في فصل الخريف، ثم تعود فتحيـا، من جديد، مع إطلالة كلّ ربيع. هكذا احتلّت فكرة الرّوح، المتميّزة عن الجسد، حيّزاً كبيراً من الاهتمام. فإذا بعلامات الاستفهام تكثر عن أصل الرّوح، ومصيرها؛ وهل هي خالدة، أم فانية كالجسد، وهل لها عالم عُلْوِيّ تقيم فيه قبل أن تحلّ في الجسد؟ وهل تحلّ في جسد آخر حين يفارق جسدٌ إنسانيٌّ، أو حيوانيٌّ، أو نباتيٌّ، الحياة.

من هنا اعتقاد البعض من الشّعوب القديمة بفكرة التقمّص،

نذكر من هؤلاء الشّعوب الفرس، والمصريّين، واليونان، والرومان. وقد اعتنق هذه الفكرة كثير من مفكّري العصور المتلاحقة من أمثال ديكارت Descartes ، وسبينوزا Spinoza ، ولامارتين Lamartine ، وهيجو V. Higo ، ونيتشة Nietzche ، وجبران خليل جبران، وميخائيل نعيمة، وغيرهم.

وقد أجمع هؤلاء المفكرون على أنّ روح الميت تعود إلى الحياة مرّات متتالية. وقد أثبت علماء النفس المعاصرون، الذي يعنون بعلوم البارابسيكولوجيا، عن طريق إرجاع الذاكرة الى الوراء، صحّة أقوال فلاسفة التقمّص، حيث عادت ذاكرة بعض الأشخاص الذين خضعوا لتلك التجارب، لتروي أحداثاً معيّنة جرت معهم في أزمنة سابقة لتاريخ وجودهم خلال حياتهم الحاليّة.

وقد حاولنا في تلك الدراسة القصيرة، أن نسلّط الأضواء على نظريّة التقمّص من جميع جوانبها، ليتسنّى للقارىء أن يكوّن فكرة وافية صحيحة عن تلك النظريّة التي شغلت أذهان المفكّرين قديماً وحديثاً. على أنّنا لم نهدف، في تلك الدراسة، أن نحمل النّاس على الأخذ بهذه النظرية، كما أنّنا لم ندّعِ، أنّنا استوفينا الموضوع حقّه من الدّراسة، لذلك نشير على القارىء العزيز، أن يلجأ الى الكتب المتخصّصة في هذا الموضوع، قبل أن يحدّد لنفسه الموقف الواضح من تلك النظريّة.

٢ ـ حقيقة التقمّص

أ ـ تعريف التقمّص:

تقمّص، تقمّصاً: مُطاوع قمّص. لَبِسَ القميص. وتقمّصت الروح: انتقلت من جسد الى آخر على زعم بعضهم، وهو على

جعل الأجساد أقمصة للأرواح تنتقل من واحد إلى آخر منها[١].

وجاء في «المعجم الفلسفي»: تقمّص في اللغة لبس القميص، وتقمّص شخصيّة غيره: قلّده، وحاكاه في سلوكه وهيئته، والتقمّص عند بعضهم هو انتقال الروح من جَسد الى آخر.

وفي اللغة الإنكليزيّة، يُعبّر عن التقمّص بلفظتي Reincarnation وRebirth، واللفظة الأولى تعني «التجسّد ثانية»، والثانية تعني «الولادة من جديد». أمّا بالفرنسيّة فيُعبّر عن التقمّص بلفظة Metempsycose، حيث فسّرها المعجم الفرنسي Larousse بأنّها رحلة النفس من جسد الى جسد آخر. أمّا في الهند فيعبّر عن التقمّص بالكلمتين السنسكريتيتين Pounarjanma، بونارجانما وSamsara-Vada سمسارا ـ فادا.

ويمكن، بعد هذه التعريفات، أن نحدّد التقمص بما يلي:

«إنّه عودة المبدإ الروحيّ في الإنسان إلى غلاف لحميّ جديد. وهذا الغلاف يتّخذ، بالنسبة للإنسان، دائماً جسداً بشريّاً».

والتقمّص، بهذا المفهوم، يختلف تماماً عن المعتقدات الشّائعة بأنّ النفس البشريّة قد تتقمّص جسد حيوان.

ولإثبات ما تعنيه عبارة «التقمّص» نسوق ما جاء في رسالة الأديب الفرنسي فلوبير Flaubert، إلى صديقته الروائيّة الفرنسيّة جورج صاند George Sand حيث يقول فيها:

---

(١) المنجد الأبجدي. دار المشرق، توزيع المكتبة الشّرقيّة، بيروت، ١٩٨٦، ص ٢٧٣.

«لا أحسّ مثلك بحياة حديثة العهد، ويتراءى لي، أنّني كنت موجوداً على الدّوام، وأنّي أحظى بتذكارات تعود الى عهد الفراعنة. إنّني أرى نفسي عبر مراحل حيواتي السّابقة بوضوح، حيث كنت أزاول مختلف الأعمال، وأحظى بالثروات».

ب - بين التقمّص والتناسخ:

التّناسخ هو انتقال النفس الناطقة من بدن إلى آخر، والتّناسخ عقيدة شاعت بين الهنود وغيرهم من الأمم القديمة مُؤدّاها أنّ روح الميت تنتقل إلى موجود أعلى، أو أدنى لتنعم، أو تُعذّب جزاء على سلوك صاحبها الذي مات. ومعنى ذلك عندهم أنّ نفساً واحدة تتناسخها أبدان مختلفة إنسانيّة كانت، أم حيوانيّة، أو نباتيّة. وأصحاب التّناسخ يفرّقون بين النّسخ، والمسخ، والرّسخ، والفسخ.

- فالنّسخ هو انتقال النّفس من بدن إنسانيّ إلى بدن إنساني آخر.
- والمسخ هو انتقال النّفس البشريّة إلى جسد حيوانيّ.
- والرّسخ هو الانتقال إلى جسم نباتيّ.
- والفسخ هو الانتقال إلى جسم معدنيّ[1].

ويقول أحد علماء الكلام إنّ التّناسخ على أربع مراتب هي: النسخ، وهي التوالد بين النّاس، بأن ينسخ من شخص إلى آخر، وضدّه «المسخ» ويخصّ النّاس بأن يمسخوا قردة، وخنازير،

---

(١) المعجم الفلسفي: صليبا. مجلد ١، ص ٣٤٦.

وفيَلة، و« الرسخ » كالنّبات، وهو أشدّ من « النسخ » لأنّه يرسخ، ويبقى على الأيّام، ويدوم كالجبال، وضدّه « الفسخ » وهو للنبات المقطوف، والمذبوحات لأنّها تتلاشى، ولا تعقِب »[1].

ج - بين التقمّص والمعاد:

المعاد هو انتقال المخلوقات بعد الموت إلى عالم غير عالمنا الأرضي.

من النّاحية العقليّة، يمكن أن نقيس إمكان وجود عالم آخر، مساوٍ للعالم الذي نعيش فيه، لأنّ الشيء الذي نراه بحواسنا، لا يمكنٌ أن ننكر وجوده في مكان لا تصل إليه تلك الحواس.

والسؤال الذي يتبادر إلى الذّهن هو التّالي: هل المعاد روحانيّ أو جسمانيّ؟ فالملحدون الدّهريّون يقولون: لا حشر للأجساد أو الأرواح بعد الموت لأنّ من مات فات. وقال بعض الفلاسفة: المعاد للروح فقط دون الجسد، لأنّ الجسم ينعدم بصورته وأعراضه، فلا يمكن إعادته، أمّا الرّوح فهي جوهر بسيط مجرّد، فلا سبيل إلى فنائها.

وقال فلاسفة آخرون: المعاد للجسم فقط دون الرّوح، لأنّ الروح جسم لطيف يسري في البدن سريان الماء في النّبات، أو الزيت في الزيتون:

أمّا الموحّدون الدّروز فإنّهم يعتقدون بوحدة الرّوح والجسد وتلازمهما، ولا يرون أنّ للروح كياناً مستقلاً قائماً خارج الجسد ويلتقون بذلك مع ارسطوطاليس الذي يقول إنّ النفس جوهر مجرّد عن المادّة متعلّق بالجسد، فإذا مات الجسد، تبقى النفس

(١) ضحى الاسلام: أحمد أمين. ج ١، ص ٢٣٩.

على استقلالها. وينعت الدّروز، بالبدائيّة الساذجة، القول برجوع الرّوح، بعد مفارقة الجسد، الى مصدرها الأول، بدون غاية سوى تلقّي ما ترجوه من جزاء على رصيد بضع سنوات تقضيها على سطح هذه الأرض، تعود بعدها الى النعيم، هانئة إلى الأبد، أو تقذف الى أتون فوّار بالسّعير، يذيقها آلام الجسد الذي فارقته، حسبما تهيّأ لها في الحياة الأرضيّة.

د - بين التقمّص والموت:

إنّ الموت أمر مخيف يثير مخاوف كلّ إنسان، ويجعله يتساءل عن مصيره بعد موته، وعن المكان الذي سيتّجه اليه؟ وهل الموت هو نهاية لحياته أو بداية لحياة أخرى سيحياها من جديد في مكان مجهول من هذا الكون الرهيب؟ وهل حياته الجديدة ستكون مطمئنّة هانئة، أم شقيّة معذّبة؟ وهل هناك علاقة، بين حياته في هذا الكون، وبين حياته الثانية؟ كلّ هذه الأسئلة شغلت أذهان النّاس منذ القدم، ولا تزال شغلهم الشّاغل حتى اليوم.

فعند العرب كان الموت نهاية لتلك الحياة الدنيا، وكانوا يقولون « مات » بمعنى « سكن »، و« هدأ »، ويقولون: زهقت نفسه أي خرجت روحه من بدنه. وكانوا يتصوّرون أنّ روح الإنسان كائن مستقل يموت حين يفارق الجسد[1].

أما مفهوم الموت فيختلف باختلاف النّاس، فإذا كان الإنسان مادّيّاً، فإنّه يعتبر الموت نقيض الحياة، والإنسان عبارة عن كيان مادّيّ تنحلّ خلاياه بالموت وتتلاشى. وإذا كان الإنسان روحانياً،

---

(١) جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام. جزء ٦، ص ١٢٣.

فإنّه يعتقد بأنّ الموت هو نقيض الولادة، أو هو إغفاءة بين يقظتين، أو فاصل بين حياتين.

أمّا الموت، كما ينظر اليه علماء الطبيعة، فهو المدخل إلى الحياة الأبديّة، وهو العامل الذي يعزّز استمرار هذه الحياة في حركة دائرية لا نهاية لها؛ فالزهرة تموت لأنّ بموتها تولد الثمرة التي هي خير منها، والبزرة تموت لأنّ بموتها تولد الشجرة، ودودة الحرير تموت لتولد الفراشة...

هـ - الموت الظاهري:

إنّ بعض حالات الغيبوبة نبّهت أذهان النّاس إلى حقيقة هامّة، وهي وجوب عدم الإسراع في دفن الميت مباشرة بعد حدوث الوفاة، لأنّه في بعض صور الغيبوبة، قد تتوقّف كلّ أعراض الحياة المعروفة ومنها دقّات القلب، والتنفّس ودورة الدم، دون أن تحصل عمليّة الموت الفعليّة.

فهناك تجارب أجريت على أناس من فقراء الهند حيث ظلّ أحد هؤلاء مدفوناً في صندوق محكم الإغلاق تحت الرقابة لمدّة أربعين يوماً، ثم عاد من جديد إلى الحياة تحت بصر الأطبّاء ومراقبتهم الشّديدة. وقد جرت تجارب مماثلة في أوروبا حيث استطاع أحد الفرنسيّين أن يتحدّى جميع الذين سبقوه، ويظلّ بلا نبض، ولا تنفّس، ولا غذاء، في صندوق محكم الإغلاق لمدّة قياسيّة.

وقد دلّت إحصاءات قام بها الطبيبان « كارنغتون » Garington، و« ميدر » Meader في كتاب لهما بعنوان « الموت، أسبابه،

ظواهره» أنّه في كلّ ٢٤ ساعة يدفن شخص واحد، خطأً، في الولايات المتّحدة على أقلّ تقدير. وقد بيّنت إحدى الجمعيّات الخيرية في لندن أنّها أعادت الى الحياة، خلال اثنتين وعشرين سنة، ٢١٧٥ شخصاً دفنوا أحياء، وأنّ جمعيّة مماثلة في أمستردام أنقذت ٩٩٠ شخصاً، وأنّ جمعيّة أخرى في همبورغ أنقذت ١٠٧ أشخاص في غضون خمس سنوات.

وفي أذهان النّاس، والمراجع الوثائقيّة حالات كثيرة لأشخاص مشهورين دفنوا أحياء، نذكر منهم رئيس الوزراء البريطاني «دزرائيلي» والكاردينال الفرنسي «دونييه» ومنهم أستاذ التشريح العلاّمة «ونْسلو»[1].

وما زال في «قب الياس» في البقاع اللبناني، أناس يتناقلون قصّة سيّدة شابّة دفنت حيّة، ولم يعرف ذلك إلا بعد فوات الأوان، حين فتح باب المدفن، وكان هيكلها خارج النعش، وقد ظهرت آثار أظافرها وأنيابها في باب المدفن وجدرانه[2].

ونختم هذه النقطة بما رواه لنا الشاعر المهجري شكرالله الجرّ في قصيدة بعنوان «جنون الصدف» عن حادثة مماثلة جرت في إحدى المدن البرازيليّة، حيث توفّي أحد الأشخاص، ثم عاد إلى الحياة مستردّاً وعيه حين اصطدمت سيارة الميت بإحدى عربات الشحن، فسبّبت تلك الصدمة وقوع النعش على الأرض، فانتفض الميت مذعوراً من نعشه. وفي ذلك يقول:

---

(١) محمد عبد الهادي حيدر: عالم الأرواح. دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ص ١٠٥.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٠٦.

فمــرّتْ بــه سيّــارةٌ تَنْهَــبُ الخُطَــى
كــأنَّ عَلَيْهــا هــاربــاً يَتَعَجَّــلُ
وَكَـانَ اَصْطِـدَامٌ دَحْـرَجَ الميـتَ فجـأةً
كـأنْ لـم يكـنْ للنَّعْشِ بــابٌ فيُقْفـلُ
فضجَّ الأُلَى قَـدْ شـاهَـدُوا المَيْـتَ واقفـاً
يُقَهْقِـهُ مَشْـدُوهـاً وصَـاحُـوا وهَلَّلُـوا

٣ ـ التقمّص عبر التاريخ

أ ـ التقمّص عند العرب

اعتقد بعض العرب بعودة الإنسان الى العالم الأرضي بعد الموت[١]، وذكر أيضاً أنّ بعض النّاس من سأل رسول الله (ﷺ) عن الرجوع إلى الحياة الأرضيّة ممّا يشير الى معرفة العرب بذلك عند ظهور الإسلام. وقالت بعض الفرق الشيعيّة بتلك الرجعة بالجسد والرّوح معاً، وآمت بعودة الإمام عليّ بن أبي طالب، كما آمنت بعودة «المهديّ المنتظر» ليملأ الأرض رحمة وعدلاً، بعد أن مُلئت جوراً، وقد حدّدت مكان تلك العودة، جبل رضوى بين مكّة والمدينة، وعن يمينه وشماله أسدان يحرسانه[٢]

وقال آخرون ومنهم عبدالله بن سبإ بأنّ محمّداً رسول الله سيرجع[٣]. واعتقد بعض العرب في الجاهليّة بالمسخ، وقالوا إنّ

---

(١) جواد علي: ناريخ العرب قبل الإسـلام. جزء ٦، ص ١٤٢.
(٢) أحمد أمين: فجر الإسلام. الجزء الأول، ص ٣١٦.
(٣) المرجع السابق ص ٣١٦.

اللاّت كانت رجلاً يلتّ السّويق عند صخرة بالطّائف، فلمّا مات قال لهم عمر بن لحيّ، إنّه لم يمت، ولكنّه دخل الصخرة، ثمّ أمرهم بعبادتها، وبنى بيتاً عليها يسمّى اللاّت. ورووا عن «أساف» و«نائلة» أنّهما كانا رجلاً وامرأة عملا قبيحاً في الكعبة، فمسخا حجرين. ورووا أيضاً أنّ سهيلاً كان عشّاراً على طريق اليمن ظلوماً، فمسخه الله كوكباً[٤].

وقد ذكر الجاحظ أمثلة كثيرة عن المسخ عن ذلك: اعتقادهم أنّ السمك البحري، والضّباب كانتا أمّتين من الأمم فمسختا. واعتقادهم أنّ الفأرة كانت طحّانة، والحيّة كانت في صورة جمل، وأنّ الله عاقبها حتّى لاطها بالأرض، وقسّم عقابها إلى عشرة أقسام، حين احتملت دخول إبليس في جوفها حتى وسوس إلي آدم من فمها. واعتقادهم أنّ الإبل خلقت من أعناق الشّياطين، وأنّ الكلاب أمّة من الجنّ مسخت[٥].

وكان أثر التناسخ واضحاً في الفلسفة الإسلاميّة، فقد قال أحمد بن حايط، وأبو مسلم الخراساني، والقرامطة، ومحمد بن زكريا الرّازي، الطبيب المشهور: إنّ الأرواح تنتقل بعد مفارقتها الأجساد إلى أجساد أخرى، وإن لم تكن من نوع الأجساد التي فارقت. وقد اعتقد هؤلاء بأنّ من أطاع الله في كلّ الأمور جعله في دار النعيم الذي ابتدأه فيها، ومن عصاه في كلّ الأمور أخرجه من تلك الدار الى دار العذاب، وهي النار، ومن أطاعه في بعض الأمور وعصاه في بعضها الآخر أخرجه إلى دار الدنيا،

(٤) جواد علي: ناريخ العرب قبل الإسلام، جزء ٦، ص ١٤٤.

(٥) المرجع السابق: ص ١٤٤.

فألبسه هذه الأجسام الكثيفة، على صور مختلفة من النّاس والحيوانات على قدر ذنوبهم[٦].

وظهرت في خراسان فرقة تبشّر بمبادىء أبي مسلم الخراساني بعد موته، أطلقت على نفسها اسم «الأبومسلميّة» أو «المسلميّة» وقالت بأنّ الروح تنتقل من جسد الى جسد، وجعلت رفعة الرّوح أو انحطاطها في القالب الجديد تتوقّف على ما تقدّمه في حياتها من أعمال، وما تحمله من نيّات؛ وبهذا يمكن عقابها وثوابها: ففي البدن تنال الروح ثوابها وعقابها على السواء[٧].

وقد احتجّت بعض الفرق الإسلامية القائلة بالتناسخ بالآية الكريمة القائلة: ﴿يا أيّها الإنْسانُ ما غَرَّكَ بِربِّكَ الكريم الذي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ في أيّ صورةٍ ما شَاءَ رَكّبكَ﴾[٨].

ويقول «إخوان الصفاء»، متأثّرين بأفلاطون، وفيثاغورس: إنّ منزلة الإنسان المتوسّطة بين عالمين: عالم الأفلاك والسّماء، وعالم الكون والفساد، قد أعطته فرصة إمّا بالارتقاء الى أعلى، وإمّا بالانحطاط إلى أسفل.

وقد تأثّر شعراء العرب تأثّراً عميقاً بعقيدة التناسخ وعبّروا عن ذلك في أشعارهم، فها هو صفوان الأنصاري يردّ على بشّار بن برد قائلاً:

أَتَجْعَـلُ لَيْلَـى النّـاطعيّـة نَحْلَـةً
وكـلُّ عـريـقٍ فـي التَّنَـاسُـخِ والرّدِّ

---

(٦) أحمد أمين: ضحى الاسلام. ص ٢٤٠، جزء ١.

(٧) المرجع نفسه. ص ٢٤٨.

(٨) الانفطار: ٨.

يتساءل الشاعر: هل يزعم بشّار أنّ ليلى تحمل روح نحلة، لما عرفت به من التدبير والعقل والنّشاط؟

والمتنبي هو الآخر يقول:

تمتّعْ من سهادٍ أو رقادٍ ... ولا تأملْ كرىً تحتَ الرجامِ
فإنَّ لثالثِ الحالَيْن مَعْنًى ... سِوَى مَعْنَى ٱنْتِبَاهِكَ والمنامِ

وهو يشير بثالث الحالين إلى التناسخ الذي لا يصيب الإنسانَ فيه موتٌ أو نوم.

أمّا الفيلسوف الشّاعر أبو العلاء المعرّي فقد عرف التناسخ، وقال في أحد ممدوحيه:

فلو صحّ التناسخ كنتَ موسى ... وكان أبوك إسحق الذبيحا

ب ـ التقمّص عند الدروز

أصبحت عقيدة التقمّص من العقائد المعلنة عند الدروز، وراح مفكّروهم يخوضون علناً في تفصيلات تلك العقيدة، والكلام على غاياتها ونتائجها. وأقاموا لها مبادىء وأصولاً وقدّموا لها التبريرات والتعليلات اللازمة. وقد جعلوا وجود الأنفس على أكثر من كوكب، وقالوا بانتقالها بين الكواكب، والأجرام السّماوية الأخرى؛ وزيادة عدد البشر على سطح الأرض لا تعني بالضرورة زيادة عدد أنفس الكون، وإنّما تعني انتقال نفوس جديدة، إلى كوكبنا، من الكواكب المجاورة.

ورأى الدروز أنّ العدل يستقيم بالتقمّص، لأنّ الفترة القصيرة من الزمن، التي يحياها الإنسان على سطح كوكب الأرض، لا تتيح له المجال الكافي للاختبار، ولا تحقق له الفرصة اللازمة لإظهار جميع ميزاته، وصفاته، وتحقيق ذاته المتشعّبة. وحتّى يكون عدل الله كاملاً لا بدّ وأن تتكافأ الفرص أمام جميع النّاس ويمرّوا بالظروف ذاتها، والمواقف ذاتها، ليظهر التفاضل فيما بينهم، وهذا ما يستدعي أن يعرف الإنسان أنماطاً متعدّدة من الحياة، من غنًى وفقر، وضعْف وقوّة، وطفولة وشيخوخة.

وفي عقيدة الدروز، أنّ التقمص يميّز بين الجنسين، فالذّكر يبقى ذكراً، والأنثى تظلّ أنثى في التقمّص، كذلك فإنّ التقمّص لا يخلط بين أنفس الدروز وبين أنفس الطوائف الأخرى. ومن مبادئهم أيضاً، انتقال الروح، دون إبطاء، من جسد فانٍ الى جسد يخلق من جديد[٩].

وإذا كان الدّروز يؤمنون بالتقمّص، فإنّهم ينكرون التناسخ، أي انقال النفس البشريّة إلى جسم غير الجسم البشري، كما ينكرون المسخ وينفونه نفياً قاطعاً، ويعتبرون أنّ كلمة مسخ تستعمل عند أهل المذهب على سبيل المجاز، ولا يكتفون بنفي المسخ، بل يعتبرون أنّ من اعتقد به كان من عبدة إبليس اللّعين، لأنّه لا يدخل في المنطق ولا المعقول، كما لا يدخل في عدل الله عزّ وجلّ أن يعاقب من عصاه، بأن يجعله في صورة قرد أو خنزير، لا يعي ولا يعقل ما كان عليه قبل أن يُمسخ[١٠]

---

(٩) ابن سيرين: مصادر العقيدة الدرزيّة، ص ٣٩٧ - ٣٩٨.

(١٠) أمين طليع: التقمّص. ص ١٣ - ١٤.

أمّا الكاتب اللبناني المعروف خليل تقي الدين، فإنّه يورد في موضوع التقمّص ما يلي:

« ... إنّ الإيمان بخلود الروح، وعودتها حياة بعد حياة متقمّصة جسداً جديداً، هو خير من الاعتقاد بانطفاء كلّ شيء في الإنسان إذا دهمه الموت... أليس من السّخف أن نعتقد أنّ الذي خلق الإنسان ونفخ فيه الروح قد جعل الموت حدّاً للحياة، وخاتمة لها؟ ولو صحّ ذلك لكان خياله قاصراً، وذكاؤه محدوداً. إذ لا يعقل أن تنحصر حياة الإنسان، هذا المخلوق المميّز من سائر المخلوقات، بعدد من السنين لا يجاوز المائة. وماهي المائة سنة في عمر الزمان؟ »[11].

ثم يستأنف تقي الدين كلامه قائلاً: « وهكذا يمكننا أن نشبّه الحياة السّابقة بحلم يراه الإنسان في نومه، حتّى إذا استيقظ من النّوم تذكّره أو نسيَه. جميع النّاس يحلمون، ولكنّ الذين يتذكّرون أحلامهم قليلون، على الرّغم من أنّ ما بين الحلم واليقظة لا يعدو فترة قصيرة لا تزيد عن ساعة أو بضع ساعات. ومع ذلك فكثيراً ما يمّحي الحلم تماماً من ذاكرة الحالم. فهل يعني ذلك أنّ النّائم لم يرَ الحلم في منامه؟ »[12].

والموت برأي تقيّ الدين هو المعبر من حياة إلى حياة أخرى، وبهذا المعنى يقول:

« الموت هو الفاصل بين الحياتين، كالنّوم الذي يفصل بين

(١١) خليل تقيّ الدين: العائد. الطبعة الأولى، ١٩٨٦، ص ٧١ - ٧٢.

(١٢) المرجع نفسه. ص ٧٧.

الحلم واليقظة. الموت ليس نهاية، ولا هو خاتمة؛ إنْ هـو إلاّ جسر نعبره من حياة إلى حياة، ولذلك نحن لا يخيفنا الموت»[١٣].

ويعتقد تقـي الديـن أنّ كـلّ البشـر يتقمّصـون، أمّـا الذيـن يتذكّرون أحداث حياتهم السابقة فهم قلائل.

ثم يوضح قائلاً: «إنّ الروح تلبس الجسد كما يلبس الإنسان قميصه، وتنزعه ساعة الموت، لتلبس قميصاً جديداً، وتحيا به حياة أخرى. وعند حدوث الموت تنتقل الرّوح فـوراً إلى جسد مولود جديد، وهي في عوداتها المتتالية من جسد إلى جسد، تنمو، وتتطوّر، وتتطهّر أكثر فأكثر، إلى أن تبلغ الكمال، أو الله... وحين يحدث هذا الحادث الخطير ـ الموت ـ الذي يخيف جميع النّاس، ما عدانا، يعود الجسد إلى التراب فيفنى، وتنتقل الرّوح في اللحظة نفسها، إلى مولود جديد، أي إلى جسد جديد تلبسه خلال حياة جديدة. والروح، في انتقالها الدائم من جسد إلى جسد، تنزع إلى إكمال العمل الذي لم تستطعْ إكماله في حياتها السّابقة. وعملها السّرمدي هو السّمّو أبداً نحو الحقّ، نحو الكمال، أي نحو الله عزّ وجل»[١٤].

ويتابع أديبنا القول متسائلاً عن مبدأ الثواب والعقاب: «هل سألتَ نفسك مرّة لماذا يخلق الله أناساً مشوّهين، أو مرضى، أو معتوهين، ويخلق آخرين وهم أصحّاء، معافون، أقوياء؟ أيّ ذنبٍ

---

(١٣) المرجع نفسه. ص ٧٨.

(١٤) المصدر نفسه. ص٧٩ ـ ٨٠.

اقترفه هذا الطفل حتّى استحقّ القصاص، وهو بعد لم يفعلْ شيئاً في هذه الحياة؟»

فيجيب الكاتب: «... الطفل الذي يولد مشوّهاً، أو مريضاً، أو معتوهاً، إنّما يؤدّي في هذه الحياة حساباً عمّا اقترفتهُ يداه في حياة سابقة»[١٥].

ج - التقمّص عند الفراعنة واليونان.

الفراعنة من أقدم الشعوب التي آمنت بأنّ للإنسان حياة ثانية في هذا الكون، وأنّ الروح باقية إلى أن تعود إلى أجسادها فيستأنف الميت حياته من جديد. وكان تقديرهم للمدّة الزمنيّة الواقعة بين حدوث الموت وعودة الروح ثانية الى الجسم بثلاثة آلاف سنة تقريباً. ولم يكن هذا التجسّد في الروح مرتبطاً بحياة صاحبها السابقة، أو مرتبطاً بفكرة الثواب والعقاب بل هو حياة ثانية توهب للمتوفّى ليعود الى الحياة يحاسب أمام الآلهة لتقضي له أو عليه. وبعد أن تستنفد الروح أغراضها في رحلة العلم والمعرفة تعود إلى جسدها لتحلّ فيه ثانية، فإذا وجدته قد تحلّل واندثر، ولم تستطع التلبّس به انصرفت عنه لتحل في مولود جديد لتستأنف به حياةً أرضيّة جديدة، وإذا وجدته محنّطاً محتفظاً بكيانه حلّت ثانية، وهذا ما يفسّر عادة تحنيط جسد الميت عندهم ليتاح لصاحبه العودة ثانيةً إلى الحياة حين تعود الرّوح إلى زيارته لاحقاً.

---

(١٥) المصدر نفسه. ص ٨٢ - ٨٣.

أمّا اليونان فقد عرفوا التقمّص واعتنقوه عقيدة، نجد ذلك عند الفيلسوف فيثاغورس الذي عاش قبل الميلاد (٥٨٢ ق.م. - ٥٠٧ ق.م.)، وقد ارتحل هذا الفيلسوف الى مصر، وربّما كان قد أخذ هذه العقيدة من هناك، وكان يقول إنّه تجسّد من قبل خمس مرّات على هذه الأرض، وإنّ اسمه في تجسّده الأخير كان أوفورباس Euphorbus. ثم اعتنق تلاميذه مذهبه حتّى جاء سقراط ٤٦٨ ق.م. - ٣٩٩ ق.م.) وكان يلقّب بأبي الفلاسفة، فقال في التقمّص:

«إذا كانت التي من طبيعتها الحياة، ستترك الحياة ولا تعود مرّة أخرى، وإذا كان كلّ شيء سوف ينتهي إلى فناء، ولن يتبقّى شيء على قيد الحياة، فما هي النتيجة الأخرى التي يمكن أن تكون؟»

ثم جاء أفلاطون (٤٢٧ ق.م. - ٣٤٧ ق.م.) فوجد في عقيدة من سبقه ضالّته المنشودة ليشرح عدّة أمور تنسجم مع فلسفته القائلة بأنّ النفوس التي تحلّ في الأبدان وجدت قبل وجود تلك الأبدان في عالم أسماه «عالم المُثُل»، وإنّها كانت تعيش هناك منزّهة عن عالم المادّة، وقد حلّت في الأجساد المحسوسة بغية إدراك هذا العالم المادّيّ. ثم جاء أفلوطين (٢٧٠ - ٢٠٥ ق.م.) وعاش في مدينة الإسكندريّة، ثم استقرّ أخيراً في روما، وكتب في كتابه عن النفس ما يلي: «إنّ النفس، بالرغم من مصدرها القدسيّ، نزلت في المناطق العليا، واندمجت في الجثمان المظلم، وبما أنّ قدرها أن تظلّ علويّة روحانيّة فهي لا

تغرق في عالم المادة، بل تحاول أن ترفع الجسد الى مستواها الرّوحي».

د - التقمّص في الهندوسيّة والبوذيّة

الهندوسيّة أو البراهميّة هي الديانة المنسوبة الى الإله براهما Brahma، وهو في اعتقادهم خالق الكون وإله البشر، وهو أوّل الثالوث الإلهي المؤلّف منه ومن شيفا Shiva وفيشنو Vishnou، إذ في صلب عقيدتهم أنّ الله تجلّى تباعاً على ثلاث مراحل.

وفي اعتقاد الهندوس أنّ الرّوح تنتقل من إنسان الى حيوان أو نبات، وأنّ الإنسان ينتقل من حياة إلى حياة أخرى أحسن أو أسوأ، وأنّ كلّ إنسان يتقرّر مصيره بالنسبة الى أعماله. فإن صلح عمل الجماد أو النبات يكون في خلقته الثانية حيواناً، وإن ساء عمل الحيوان يصبح نباتاً أو جماداً، وإن ساء فعل الإنسان يصبح حيواناً أو نباتاً.

والبوذيّون كالهندوس يؤمنون بالتقمّص، وكلاهما يعتقد أنّ الحياة الأرضيّة يتخلّلها عذاب ناتج عن رغبة الإنسان في التمتّع بالشّهوات، وملاذ الدنيا، وضعفه تجاه المغريات الدنيويّة. ولكي يتخلّص من عذاب هذه الدنيا، عليه أن ينكر ذاته ويتحرّر من الدنيوات التي تشدّه إلى الوراء وتبعده عن الروحانيّات، وذلك بالانفراد بنفسه وتوجيهها نحو الأصلح والأبقى، فينسى دنياه نسياناً تامّاً، فيتقشّف ويتحرّر من العلاقات الأرضيّة، فيصبح من

الصوفيّة والتحرّر بدرجة النيرڤانا Nirvana أي الذوبان في الرّوح الكلّيّة.

وقد ارتبطت عبارة التقمّص، في أذهان النّاس، بأهل الهند، والتصقت بهم وحدهم دون العالم الآخر، والسبب في ذلك يعود إلى ما علق في أذهان العرب وهم يقرأون كتابات الشّاعر الهندي المعروف طاغور التي لها صلة وثيقة بموضوع التقمّص. وليس القصد من التقمّص عند الهنود انتقال الأرواح من جسد إلى آخر فحسب، وإن كان هذا هو المقصود في بادىء الأمر، وإنّما هو نتيجة لمذهب فلسفيّ أبعد أثراً، وأعمق غوراً من ذلك. فقد نشأت في الهند فكرة تنظر إلى الحياة نظرة قلق ورهبة، وقال أصحابها بصيرورة لا تُقاوَم تقودنا حتماً الى مصيرنا المحتوم، على الصعيد الفلسفي لا على الصعيد الدينيّ. فكانت اليوغا (التي تعني الاتّحاد بالرّوح الكلّيّ، في اللغة السنسكريتيّة) هي السبيل لبلوغ النفس البشريّة درجة الخلاص المنشود.

هـ ـ التقمّص في الأدب الهندوسي

يقول كريشنا لأرجونا في كتاب الـ «بغفاد ـ غيتا» أجمل كتاب هندي، بصدد الاعتقاد بالتقمُّص: «كما تمرّ النفس المتجسّدة باستمرار في هذا الجسد، من الطفولة الى الشباب الى الشيخوخة، هكذا تنتقل النفس عند الموت إلى جسد آخر. لا يضطرب المحقّق لذاته بمثل هذا التغيير». وكما يرتدي الإنسان ثياباً جديدة ويلقي بثيابه البالية بعيداً، هكذا ترتدي النفس

أجساداً ماديّة جديدة، وتلقي بالأجساد البالية جانباً...

ثم يتابع قائلاً: «من يعرف طبيعة ظهوري وأعمالي التجاوزيّة لا يولد ثانية عند تركه الجسد في هذا العالم الماديّ، بل يدخل مقامي السرمديّ يا أرجونا».

وعندما تأتي إليَّ هذه النفوس العظيمة، نفوس اليوغيين المكرسين، لا يعود هؤلاء الى هذا العالم الزائل، المليء بالآلام لأنّهم بلغوا أعلى مراتب الكمال. ثمَّ يقول: «يحمل الكائن الحي في هذا العالم الماديّ مفاهيمه المختلفة عن الحياة في مراحل تجسّداته المختلفة كما يحمل الهواء الشذا».

أما المفكّر الهندوسيّ المعاصر راماكريشنا فإنّه يحدِّد عودة الإنسان الى الحياة وفقاً للخواطر التي مرّت بذهنه لحظة موته. لذلك فإنّ المواظبة على الطقوس والعبادة تأخذ أهميّة خاصة من أجل تحرير العقل كلّياً من المشاكل الأرضية، فيصبح ذكر اسم الله ملازماً لتفكيرنا في جميع الحالات حتى لحظة الموت. بذلك نعود إلى الحياة من جديد بشكل أفضل ووجود أمثل...» ويتابع في مجال آخر: «إنّ حبّة الأرز غير المطهوّة هي التي تولد السنبلة. أما الحبّة المطهوّة فلم تعد قابلة للتوالد. كذلك الإنسان الذي بلغ مرتبة الكمال الروحي: فهو لن يولد من جديد في هذا العالم الأرضيّ لأنّ المعرفة قد طبخته، ولم يعد هنالك أية ضرورة، أو منفعة من عودته الى الحياة. فقد تحرَّر نهائيّاً من عبوديّة هذا العالم. أمّا الإنسان الذي لم يبلغ درجة الكمال في حياته الأرضيّة

فسيظل يولد باستمرار حتى يصل إلى درجة الكمال هذه...»

أمّا الشاعر الهندوسي المعاصر طاغور، فقد تأثّر بالكتب الهنديّة المقدّسة، وأُعجب بشخصيّة أرجونا فاتّخذه بطلاً لمسرحيّته «شيترا CHITRA» فقال على لسانه: «من تراه يكون هذا الفتى؟ أهو واحد من عبيدي، في حياة لي سالفة، وقد تبعني كأعمالي الصالحة ليتجسّد في حياتي هذه؟» وقال في مجال آخر:

«بدون شكّ، سأقف مشدوهاً إذا ما عدنا والتقينا يوماً في حياة مقبلة، ومشينا على ضوء عالم آخر بعيد جداً»...

و- التقمّص في الديانات الأفريقيّة

ينتشر التقمّص في أديان أفريقيا التقليديّة وبين أغلبيّة السكان. يقسم اللاهوت عند هؤلاء القوم إلى اثنين من الكائنات: أوجو OJO أي الجسد، وتيم TIM الروحانيّ غير المادّيّ، ويمكن للأطفال رؤية التيم، وكذلك أنقياء القلوب. أمّا مصير الإنسان فيتقرّر قبل أن يأتي. تبقى الموتى بنظرهم في الأثير ويظهر وجودهم في الأحياء من نسلهم عن طريق قوى متذبذبة.

ز - التقمُّص في أميركا

ينتشر الإيمان بالتقمّص في ألاسكا خاصة في القبائل، وأهمها قبيلة تلنجت TLINGIT. فتعتقد أنّ الميت يعود إلى هذا العالم وإلى أقربائه بالذات. ويعتقد الهنود الحمر أنّ لكلّ كائن بشري

روحاً ونفساً. وأنّ الروح بعد خروجها من الجسد تصبح طيفاً هائماً حول المكان الذي ألفته، واعتادت الحياة فيه....

أما في البيرو حيث توجد حضارة عريقة، نجد أنّ القبائل تعتقد ببقاء الروح على الطريقة المصريّة أي عودة الروح إلى الجسد الذي خرجت منه.

يؤكد الطبيب والعالم النفسانيّ أبان ستفنس أنّ عدداً لا يقلّ عن نسبة ٢٥٪ من سكان البرازيل يعتقدون بالتقمّص، فقد جاء في كتابات مدير المعهد البرازيلي للأبحاث الروحيّة في مجلّة «العلم والمجتمع»: هناك إمكانيّة العودة للتجسّد بعد فناء الجسد المادّيّ. وقد تقبَّل ملايين البرازيليين موضوع العودة هذه على أنّه حقيقة من الحقائق منذ أكثر من قرن. وهناك حالات وأحداث وقعت في البرازيل تذكّر بالحَيَوات السابقة، نذكر واحدة منها على سبيل المثال: ولدت طفلة في سان باولو في ٢٠ آذار ١٩٦٣. وعندما بلغت الثانية من عمرها بدا أنّها تفهم الإيطالية، وأخذت تنطق بعض كلمات بها، مع أن أحداً لم يعلّمها الإيطالية أو يتحدّث معها.

وفي الرابعة من عمرها شاهدت صورة لمبنى الكابيتول في روما على مفكرة. صرخت الطفلة قائلة «هذا هو الكابيتول وهذا هو المنزل الذي عشت فيه، وهذه هي المدرسة، وهذه هي الصخور التي كنت أقفز عليها. ثم قالت لجدّتها «عندما كنت هناك» قرب الكابيتول حضر صبيّ ومعه قنبلة بيده، وكانت قد

ألقيت على المدينة ولم تنفجر، لكنّها انفجرت بين يديه، فركضت لأبحث عن مكان أختبىء فيه. ثم صعدت بعد ذلك الى مكان عال وبعدها حضرت إلى هنا ولا أريد العودة الى الكابيتول أبداً. والآن ولدت هنا، وهذه هي ماما التي أريدها وأحبّها...»

٤ ـ التقمّص في ضوء العلم

دلت الوقائع الحسيّة والأحداث المتعدّدة التي مرَّ ذكرها معنا واختصرنا منها الكثير، أنّ هناك عودة للتجسّد، لكن هذه الأمثلة والأحداث لا تؤكّد بشكل نهائيّ وجود التقمُّص، ولا تنفي بشكل قاطع وجوده... فقد حضر العديد من العلماء النابهين على مختلف اختصاصاتهم جلسات روحيّة وراقبوا وتجسّسوا وناقشوا المواضيع العديدة، ومنهم من اتّجه فعلاً للإيمان بهذه المعطيات حتى لو خرج على قوانين الفيزياء والطبيعة والرياضة. الى أن أصبحت إمكانيّة إرجاع الذاكرة إلى الوراء ممكنة رغم أنّ العلم لم يقرّ ذلك إقراراً كاملاً، لأنّ هناك بعض الفجوات القليلة من اضطراب أفكار وبعض الغموض، في حين يدافع البعض الآخر: ليس ذلك ذنب العلم، بل تقصير عقولنا عن استيعابه وترقية الروح علميّاً وخلقيّاً لكشف تلك الغوامض التي تشوبه، ولتقاعس المؤسّسات ومراكز الأبحاث العلميّة والدول الراقية عن احتضانه وبحثه بشكل علميّ، وسعي العلماء للاستمرار في البحث حتى كشف أسراره، وتركيز العلم تركيزاً راسخاً يصل إلى نتيجة مقنعة. هل هناك أصلح من فكر وقّاد يحطّم قيود الانغلاق

والانعزال ويفتح له نوافذ واسعة على دنيا الغد، فلا يرى مستحيلاً ولا مستغرباً على دائرة وعيه، ولا خاضعاً فقط لحواسه الخمس المادّيّة؟!

لماذا رفض هذه الظواهر المتأصّلة الجذور تاريخيّاً وحاضراً لِمَ لا تدعمها بحوث ودراسات وتحرّيات علميّة ثابتة؟ نجد مثلاً أنّه بدءاً بنتائج الأبحاث البارابسيكولوجية الحديثة المتعلّقة بشأن ظاهرة الوعي التي يستسلم فيها الجسد إلى حين، فقد غرق بعض الباحثين وأولعوا في مهمّة التحقيق في إمكانية وجود حياة لاحقة بعد فناء الجسد، وذلك بواسطة طرق وأساليب ومناهج علميّة حديثة.

يمكن تصنيف الطرق العلميّة في إرجاع الذاكرة المستخدمة حالياً إلى مجموعتين، وقد توصّل الباحثون الغربيّون كما توصّل الشرقيّون إلى نتائج مماثلة:

ففي أثناء الندوة التي انعقدت في لندن في أيلول ١٩٧٤، والتي تناولت مواضيع البقاء والخلود، أشار الأستاذ هيل سكوت Hill Scott المتخصّص بعلوم الفيزياء الإحيائيّة إلى صعوبة هذا التحقيق التجريبيّ مشيراً الى القول بأنّنا ما زلنا في الخطوات الأولى من مسيرة اجتياز حقل فسيح جدّاً.

دعمت هذا الاعتقاد السيّدة بربارة ايفانوفا Barbara Ivanova الباحثة في علم ما وراء النفس، والتي تدير مختبرات البحوث الإحيائيّة في موسكو.

وقد عقد مؤتمر آخر في مدينة براغ Prague ، وكان أوّل مؤتمر بارابسيوكولوجيّ، فأكّدت السيدة إيفانوفا وصولها إلى نتائج إيجابيّة ضمن مجال التحقيق بتذكّر حَيَوات سابقة كما اكتشفت أنَّ بعض الأشخاص التي كانت تدرس انفعالاتهم يمكن إرجاع ذاكرتهم الى مستويات عميقة من وعيهم، فتذكّروا عاداتهم، ولباسهم، ومنازلهم في حياتهم السابقة كما أفلحوا في وصف أحداث عاشوها في حيواتهم السابقة. فقد تفحَّصت السيّدة إيفانوفا عدداً كبيراً من الحالات، وقد توصّلت الى التثبّت من العلة القائمة بين الوجود الحاليّ والوجود السالف. وقد قامت بذلك بغية تحقيق أهداف علاجية. وقد توصلت إلى تأكيد سبب وجيه للاضطرابات النفسيّة والمواقف الشاذّة، وهو يعود الى حَيَوات سابقة فرضت على هذا الفرد أو ذاك سلوكاً معيّناً أو اضطراباً خاصاً به، ممّا دفعها الى تطبيق تقنيّات تربويّة تفسح في المجال للشخص المعالج حتى يبلغ الاتّزان النفسيّ والجسديّ.

هناك أمثلة عديدة تؤكّد تذكّر الحياة السابقة، يمكن وضع كتاب كامل عنها.

أكّد بنارجي أنّ الله خصَّ الفكر البشري بطاقات وقدرات خفيّة في غالبيتها، وأنّنا ما زلنا نبحث في حقل شائع ومعقّد للغاية. وحتى الآن لم يستطع العقل البشريّ ومناهجه العلميّة وأبحاثه التوصّل الى سبر أغواره. وهناك أبحاث ذات أهمّيّة في مجال الوصول إلى أعماق اللاّوعي، ساهم بأغلبيّتها إيان ستفنسن IAN Stevenson أُستاذ الطبّ والأمراض العقليّة والنفسيّة، ومدير

معهد الپارابسيكولوجيا في جامعة فرجينيا الأميركيّة. وقد عاين أكثر من ١٣٠٠ حالة حيث نجح في التوصّل إلى كشف الحيوات السابقة عند العديد منهم. هذا بالإضافة الى الحالات التي ذكرها بنارجي.

تجدر الإشارة إلى أنّ أحد أهمّ العوائق التي اعترضت هذا النوع من البحوث، وأحزنت أُستاذ طبّ الأمراض العقليّة والنفسيّة أتت من عائلات هؤلاء الأطفال الموهوبين بالذاكرة الخارجة عن نطاق الإدراك الحسّيّ.

من ناحية أُخرى يقسِّم روبرت كروكول R. CROOKALL وهو عالم جيولوجيا ونبات من طراز رفيع، ومحاضر في جامعة أبردين ـ بريطانيا ـ حالات الخروج من الجسد الى فصيلتين أساسيّتين هما: (١) الأولى يكون فيها الخروج من الجسد ظاهرة طبيعية ومنها أولئك الذين يموتون ويعودون الى الحياة بفضل وسائل الإنعاش الحديثة... (٢) الثانية فصيلة الخروج القهريّ من الجسد بسبب التخدير الجراحيّ، أو الاختناق، أو السقوط من مكان عالٍ، أو التنويم المغناطيسيّ... وهذه الأمور تتطلّب مجالاً أوسع للبحث والتنقيب، سنتناول من بينها التذكّر التلقائيّ للحَيَوات السابقة، إذ يدخل مباشرة ضمن إطار بحثنا هذا.

تعود قدرة تذكّر أحداث الحَيَوات السابقة الى العلوم السرّية الهنديّة التي تعتبر كغيرها من القوى الخفيّة والخارقة، يقول الحكيم الهندوسي بتنجالي Patanjali: إنّ هذه القدرة هي التي

توجه الإنسان نحو العلى والكمال. أما مؤسّس الديانة البوذية Gautama Bouddha فيقول بأنّ لرجال الدين والرهبان البراهمة القدرة على تذكّر أحداث حَيَواتهم السابقة. ويصل هؤلاء إلى هذا المستوى بفضل امتصاصهم للطاقات الحيّة وصفاء أفكارهم، وطهارة نفوسهم وتجرّدهم.

رأينا أحداثاً كثيرة تتكلّم على عودة الذاكرة الى صاحبها، منها ما يكون تخيّلًا لا صحة له، ويدحضه التحقيق في حينه. لكن الأبحاث الپاراپسيكولوجيّة أعادت كامل اهتمامها لمثل هذه الظواهر الكاشفة لأغوار الذات الإنسانيّة، ولكلّ ما يختزن العقل الواعي، واللاّواعي سواء في غيبوبة التنويم المغناطيسيّ، أو خارجها. فكثيراً ما يطالع الأطفال أولياءهم بأسماء غريبة عنهم، ويروون لهم حكايات لم يسمعها الأهل من قبل، ويحدّثونهم عن مظاهر ومآكل لم يسمعوا بها، كما أنّهم يصلون أحياناً الى التلفّظ بكلمات أعجميّة وغير ذلك. والأمثلة كثيرة جدّاً حول هذا الموضوع. فما الصحيح؟!...

كيف تتمّ عمليّات تذكّر الحَيَوات السابقة؟

هناك بعض المفاتيح المتعلّقة بعالمنا الداخليّ، تحدّث عنها الكثيرون. فما قصّتها؟

ينصح اليوغيّون التقيّد بالأمور التالية:

(١) جسد سوي خاضع لوقاية دقيقة.

(٢) اتّزان فكريّ.

(٣) تُفَضَّل التغذية الخالية من اللحوم.

(٤) الامتناع عن الكحول والمشروبات المُسْكِرة.

(٥) تجنّب التدخين وكل أنواع المخدّرات.

(٦) الاسترخاء التامّ.

(٧) مراقبة حركة التنفّس، والبرانا Prana[١].

(٨) الهدوء النفسيّ والجسدي، وهو الشرط الأساسيّ للوصول إلى رؤيا باطنيّة، وتذكّر صور وأحداث الحَيَوات السابقة.

(٩) تحرير الذات من كل قلق، وكلّ همّ مسبّب للشلل الفكريّ والجسديّ.

(١٠) طرح الأحكام المسبقة العرقيّة والعقائديّة والطبقيّة. فهذا شرط هامّ يساعد على التذكّر الواضح لأحداث الحَيَوات الماضية.

(١١) وجوب تدريب الذات على تذكّر فصول ووقائع الحياة الحالية، وتمييزها بكلّ وضوح؛ إذ إنّ ذلك من شأنه إصلاح الذاكرة، وتمييز الفروق بين الأحداث.

فعندما ندرك انفعالاتنا ومشاعرنا وأحاسيسنا عندئذٍ تتراءى أمامنا صور وأحداث حيواتنا السالفة. يقول الروحاني الهندوسي فيفكانندا: «كل تجربة تحدث معنا ترد في فكرنا بصورة موجة متذبذبة، وهذه الموجة تصبح أكثر لطافة ولا تتلاشى مطلقاً، بل

(١) البرانا: هي الحياة الحيويّة: النفس. الطاقة البيولوجية، القوة الحيانيّة المحرّكة.

تستمرّ، وتبقى على شكلها الدقيق، وإذا استطعنا إعلاءها فإنّها تُصبح تذكاراً. كما ينصحنا بأن تتحرَّر من التعلّق من أجل الوصول إلى المعرفة المختصة بإرجاع الذاكرة إلى حيواتنا السابقة.

★ لماذا ننسى أحداث حيواتنا السابقة؟

الإنسان هو حصيلة التئام مجموعة عناصر، ونتيجة نموّ طويل الأمد، تتجلّى مهارات هذا الجسد بقدراته الفكريّة التي تحصل بواسطة العقل: والعقل هذا بحاجة الى إعداد وتدريب كي يتجدّد مع الجسد الجديد، كما أنّه يتجاوب مع ارتجاجات الجسد المفكّر، كما أنّ هناك أسباباً أخرى متعلّقة بنسيان الماضي، منها:

(١) عيوب الجهاز الآلي النفسيّ وضعفه.

(٢) مدى صلابة حالتنا الواعية واللاّواعية.

(٣) تأثير القانون الكارمي، أو «قانون ما نزرع إيّاه نحصد».

ننسى الكثير من أحداث حياتنا الحاضرة فكيف يكون مصير أحداث حيواتنا الماضية؟

(٤) يصدُّنا عقلنا الباطنيّ عن رؤية بعض جوانبه، وما يختزن في أغواره، وإنّ استكشافه أمر أساسيّ لأنّ مصيرنا مرتبط به. نحن نخشى غالباً ولوج لاوعينا وسبر أغواره بصورة مباغته، أو بالوسائل التحليليّة، أو بالأساليب اليوغيّة.

تشير العلوم الباطنية الى أنّ قانون العدل الإلٰهي قد يخفي علينا المحن، والمتاعب التي يمكن أن تحلّ بنا، ولا يكشفها لنا إلاّ

تباعاً ووفقاً لاستعداداتنا وأهليتنا على التحمل.

٥ ـ نموذج من حالات التذكر

قام العديد من الدارسين في منتصف القرن التاسع عشر بدراسة العديد من الحالات التي خضعت لاختبارات إرجاع الذاكرة الى الوراء. لم تتوقّف عند هذا الحدّ، لكنّها دخلت في نطاق التقمُّص كلّ الحالات التي تمَّ تصنيفها تحت ما أصبح يُعرف بـ « سُمِع من قبل » و« رُئِيَ من قبل » ممّا جعل البحث ذا آفاق واسعة وقريباً من أساليب علم الاجتماع الحديث. فقد قام إيان ستفنسن أحد الباحثين المعاصرين باستقصاء عدد كبير من حالات « سُمِع من قبل »، أو « رُئِيَ من قبل » وعرض عدة نماذج في كتابه « عشرون حالة ترشح لعودة التجسُّد » الذي نشر عام ١٩٦٦. ويضمّ سبع حالات وقعت في الهند، وسبع حالات وقعت في جنوب آلاسكا، وثلاث حالات في سيلان وحالتين في البرازيل، وحالة وقعت في لبنان هي حالة « عماد الأعور ».

عماد الأعور من قرية « قرنايل » لاحظ أهله أنّه كان يروي لوالديه منذ أن بلغ عامه الثاني، قصصاً تدور أحداثها في أسرة أخرى. ذكر عماد أنّه كان يعيش بينها من قبل في قرية تدعى الخريبة، وكان يردّد أسماء إخوته السابقين كما تحدّث عن سيارة دهست رجلاً.

جاء الدكتور ستفنسن لمعاينة الحالة، وكان عماد قد بلغ الثانية عشرة من عمره، فاصطحبه إلى قرية الخريبة، وهناك تعرَّف مباشرة

على بيته السابق وعلى شقيقته هدى التي أخرج لها لسانه كما كان يفعل من قبل. كما تعرَّف الى بقية إخوته وناداهم بأسمائهم، ومن أحد المخابىء أخرج بندقية كان قد أخفاها من قبل، وحدَّد الفراش الذي مات عليه وقد عزلوه عن إخوته خشية العدوى، وأن إصبع والدته قد هرسه الباب، وعند فحص الوالدة تبين أن ذلك صحيح.

وقد اعترفت هذه العائلة أنّه كان لديهم شاب يدعى إبراهيم بشير أبو حمزة توفي في ١٩٤٩/٦/١٨ بعد أن أُصيب بسل النخاع الشوكي وكان عمره ٢٥ سنة...

وبعد دراسة عينيّة لجميع الوقائع والأحداث تبيّن للدكتور ستفنسن أنّه لا علاقة بين أسرة عماد الأعور التي تسكن قرية قرنايل وأسرة بشير أبي حمزة التي تسكن قرية الخريبة.

بعد صدور كتاب ستفنسن قامت مجلّة الحوادث اللبنانية بإجراء تحقيق في الموضوع، فكلّفت الكاتبة الروائية المعروفة غادة السمّان بإعادة فتح ملفّ القضية، يعاونها الأستاذ غسان مكارم. وذلك في شهر شباط ١٩٧٣، فتأكّد من صحة الوقائع السابقة الذكر. وممّا يلفت النظر أنّ التحقيق الثاني أجري بعد أن بلغ عماد الحادية والعشرين من عمره، وقد لوحظ أن ملامحه أخذت تتشابه مع ملامح المرحوم إبراهيم بشير أبو حمزة.

٦ ـ التقمّص وتطوّر الحياة

أ ـ الكمال الإنسانيّ والكمال الروحيّ

يتمثّل الكمال في النضج الواعي، أي أن يكتمل الوعي توصّلاً إلى مرحلة معيّنة تهيّىء للارتقاء إلى مرحلة أفضل. ومهما عمُق الكمال وتمدَّد وعلا، فإنّه يبقى اكتمالاً يصبو إلى كمال آخر حيث يصل هذا الامتداد إلى الكمال الحقّ في الوعي الكامل ضمن النظام الكوني الذي يفوق نطاق إدراكه بالحواس.

تُقاس الفترات الزمنيّة التي تستغرقها كلّ مرحلة كمال بالنسبة للمجهود الفرديّ، أو على مدى دورات حياتيّة محدّدة تفرض عودة الإنسان إلى الأرض لإنجاز ما باشر به سابقاً. كما أنّ بعض مراحل الكمال تتتابع في الحياة ما بعد الحياة.

يعرف الكمال الإنسانيّ على أنّه الكمال المادّي، ويكتمل عند توعية الأجسام الباطنيّة الدنيويّة أو التكوينات الداخليّة التي يتألف منها العامل البشريّ في الإنسان، وهي: الجسد المادّي، والجسد الأثيريّ، والجسد الهيوليّ... يتفتّح وعي هذه الأجسام خلال ممارسة صاحبها الصفات الإنسانيّة، ويتطوّر الإنسان أثناء معيشته الصادقة التي تسعى إلى التعمق في أصول المعرفة، إضافة إلى التقيّد بالقوانين الحياتيّة، ومصلحة الجماعة، ولا يتوقّف التطوّر الذي بلغته هذه الأجسام عند انتقالها إلى العالم الآخر عبر الموت لأنّها لا تفنى مع توقف الحياة في الجسد الماديّ بل ينجذب إلى الماوراء إلى المكان الذي يناسب مستوى تقدمها وفقاً لنطاق عمله

إبان الحياة على الأرض. أمّا الجسد الأثيريّ، فإنّه يتفتت وينحل بعد وقت قصير من الموت، إذ تنتهي مهمّته مع انتهاء الحياة في الجسد المادي[1].

تجدر الإشارة إلى أنّ التطوّر ما بعد الحياة يساوي أضعاف التقدّم على الأرض، لأن هذه الأجسام لم تعد تفصلها عوائق أرضيّة ولا أعمال ماديّة، فقد آن لها أن تستقل عن الجسد، وتتحرّر عن بعضها البعض، وتصبو لصالح نموّها وتطوّرها، وعندما يحين موعد انتقالها من هناك، تدخل في ما يشبه الاحتضار، ممّا يشير إلى اقتراب عودتها للحياة من جديد على الأرض... تعود عند ذلك النوى المكوّنة لهذه الأجسام لتنجذب إلى بعضها وتتماسك مكوّنة الإنسان مجدّداً. وبالولادة يتجدّد كلّ شيء.

وهكذا تتوالى دورات الحياة البشريّة: موت هنا وبدء حياة هناك والعكس بالعكس إلى أن يتحرّر من دولاب الموت والحياة والمكوث في الوجود الذي لا موت فيه، ذلك هو الكمال الإنسانيّ أو الكمال الماديّ الذي يشمل عدة كمالات أدنى منه أثناء المسيرة نحوه، وهنا نصل إلى مرتبة الإنسان الإله.

بعد ذلك تستمرّ المسيرة نحو الكمال الروحي بعد اجتياز مفارق الاختبار المتنوّعة بواسطة تفتيح الأجسام الباطنيّة العليا الخاصّة بها بغية توعيتها بواسطة قوى معرفة الأجسام الدنيا التي

---

(١) مجموعة من المعلمين الحكماء: إرشادات الى العالم الباطني في الإنسان. ص٦٨ - ٦٩.

اكتسبت اثناء مرحلة وعيها السابقة[1].

ممّا لا شك فيه أنّ المسيرة نحو الكمال الروحيّ تعني وعي الإنسان للروح التي هو إيّاها، أي الروح التي انبثق منها، والتي تعتبر حقّاً هدف الخلق والخليقة، هدف الوجود والكيان والنظام.

تبدأ المعرفة الباطنيّة بالمعارف المادّيّة أثناء الحياة على الأرض ثم تسمو في الفضاء الذاتي الى أن تنتهي الى الصفاء الروحيّ المطلق حيث لا مادّة ولا مشاعر مادّيّة، وكلّ الانفعالات والرغبات والشهوات التي يمرّ بها الإنسان على الأرض ليست سوى اختبارات في المقدرة الذاتية وإمكانية الترويض، والتغلّب على سبب وجود كل ما يؤخر نضوج الإنسان في الذات، وعندما يصل الإنسان الى هذا الكمال يكون قد أدرك المغزى الربّاني في حقيقة وجود الإنسان وتواجده في عالم المادة، عندها تصبح المادّة تحت سيطرته، فيسمو فوقها، ويستمرّ نحو الكمال في الروح...

ب ـ التعريف بالتيوزوفيا

تتركّب كلمة تيوزوفيا Theosophia وفقاً للمعاجم من كلمتين يونانيتين هما: تيوس أي الله وصوفيا، أي الحكمة. وقد أسّست السيدة هيلانة بتروفنا بلافاتسكي الوسيطة الروسيّة الذائعة الصيت، التيوزوفيا عام ١٨٧٥ بالاشتراك مع الكولونيل الأميركي هنري ستيل أولكوت H.S. Olcot وانضمّ إليها العديد من العلماء

(١) المرجع السابق نفسه. ص ٧.

والمفكّرين على رأسهم المخترع أديسون والسيدة حنة بيزانت وغيرهم.

أمّا الرائد التيوزفي الأسقف شارل وابسترليد بيتر فقد عرّفها قائلاً: «التيوزوفيا هي أداة تواصل بالله وبالأرواح النقيّة التي تفضي بنا إلى اكتساب المعرفة التي تفوق القدرة البشريّة، وذلك عن طريق أساليب فيزيائيّة تتعلّق بالشعوذة أو الألعاب الكيميائيّـة». تقول السيّدة بلافاتسكي حول هذا الموضوع: «إنّ هذا التعريف هو إيضاح ناقص وغامض... وهذا التفسير يدل إمّا على شرح بيتـر الرديء أو على جهله للفلسفة...

وقال تعريف آخر: «التيوزوف هو من يقدّم لنا نظريّة إلٰهيّة ينبّه على الكشف والإلهام».

وقد عرفها سيرج هوتن Serge Hutın على النحو التـالـي: «إنّ كلمة تيوزوفية تعني الحكمة... هو اسم عام، أطلق على معتقدات مختلفة، تتوافق في البحث مع معرفة الخالق وقضايا الإلٰهيات، وهناك فارق طبيعيّ بين علم اللاّهوت والتيوزوفية.

أما الموقف التيوزوفي الأساسيّ فإنّه يعتبـر العـالـم الأرضـي صورة معكوسة للعالم السماويّ، والاكتفاء بالإمعان في الكائنات والأشياء المحيطة به، كي يكشف أنّ الطبيعة ليست سوى صدى وظلاًّ للألوهيّة.

وقد انتسب كل من الأديب والفيلسوف اللبناني جبران خليل جبران والأديب والفيلسوف ميخائيل نعيمة إلى جمعية التيوزوفية،

وقد كان لها أثر عميق على أدبهما.

استهوت مبادىء الجمعيّة ميخائيل نعيمة في تحليلها للقانون الكارمي، وفحواه أنّ قانون الثواب والعقاب مستمدّ من الإنسان نفسه، ومن أعماله وأفعاله، وأقواله، واستعداداته، ومواهبه، وكل ما يقوم به من أعمال وأقوال يعود اليه في حياة أخرى جديدة. الجسد يتقمّص في جسد آخر حسب ذلك القانون الذي يهيّىء له ذلك الجسد، وهو قائم على النظام القاضي بأن تحصد مثلما تزرع. الخير بالخير والشرّ بالشرّ، حتى إنّ الأفكار والنيات تخضع لهذا النظام[1]...

لاقى هذا القانون صدى في قلبه وفكره، فاستعاض به عن فكرة «الخطيئة الجدية». تقترب التيوزوفية من الصوفيّة الإشراقيّة من ناحية التركيز على الفلسفة الإلٰهية، أو الحكمة الإلٰهية، وهي قريبة من صوفيّة وحدة الوجود من جهة التوحيد بين الديانات ومن جهة وحدة الكون وترابطه، وتسلسله في مراتب وطبقات متدرّجة ومتّصلة... من كل ذلك يتبين لنا أنّ التيوزوفية تجمع بين ديانات الشرق الأقصى كالهندوسيّة والبوذيّة، وبين ديانات الشرق الأدنى كالمسيحيّة واليهوديّة والإسلام في بحثها أو تأمّلها للحكمة الخالدة الواقفة وراء جميع الديانات...

للدلالة على عظمة جبران بين روّاد هذه الجمعية، يكفي أن نذكّر أنّ التيوزوفي الهندوسيّ الأصل كريشنامورتي ذاته جاء

---

(١) ميخائيل نعيمة: سبعون. دار صادر ودار بيروت، بيروت، ١٩٦٠، ص ٤٦.

يستشيره عن الموقف الذي يأخذه من أتباعه في إعلان ذاته «يسوع الجديد»، وقد هداه جبران إلى الاختلاء ليبحث عن يسوعه في داخله... هكذا نجد أنّ التصعيد، والتوق، والتسامي الروحي، وخلق الرؤيا، وتحديد الذات هي مادة الصراع المحموم في صميم التعاليم التيوزوفية.

ممّا لا شكّ فيه أنّ جبران قد تأثّر بالعود النيتشوي الذي نادى بالإنسان المتفوّق، وقد وعد كل من المصطفى وزرادشت وأبناء قومه قبل أن يركب السفينة بأنّه سيعود إليهم ثانية عندما يرى أنّ تعاليمه قد تلاشت ليوزع عليهم أزهار الحكمة قائلاً: «إنّني عند ذلك سأفتّش عن خرافي الضالّة بعين أخرى أبذل لكم حبّاً غير هذا الحبّ».

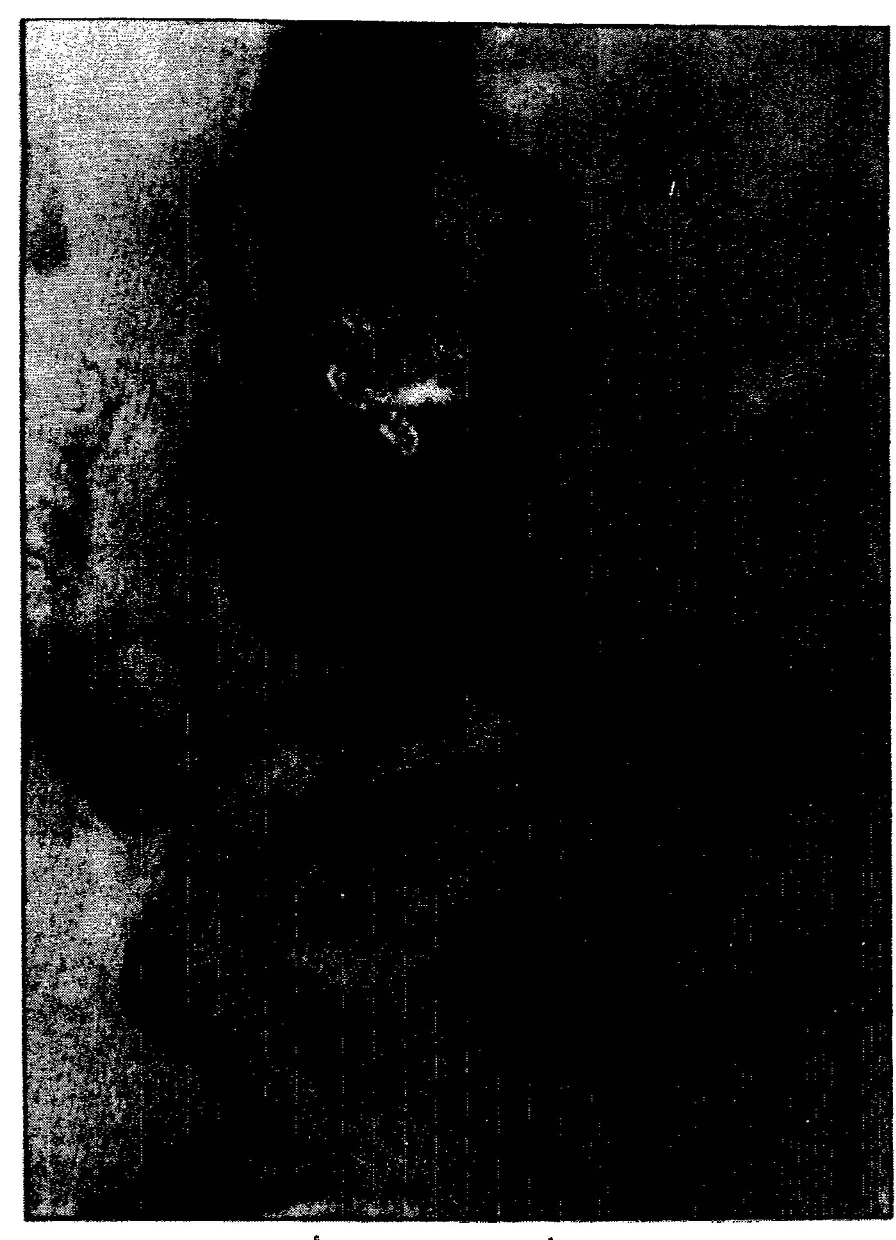
أما جبران فقد أورد الوعد نفسه حيث قال: «إذا تلاشى صوتي في آذانكم واضمحلَّ حبّي من ذاكرتكم، فإنّني أعود إليكم ثانية، وإذ ذاك أكلّمكم بقلب ازداد غنى، وبشفتين أكثر طواعية للروح[1].

أما نيتشه فقد قال: «كلّ شيء يموت وكلّ شيء يعود فتنوَّر أزهاره، ودوائر الوجود لا انتهاء لها...

(١) جبران. النبي (يارد) ص ١٤٤.



التقمّص أو الصعود والهبوط (بريشة جبران خليل جبران)



التقمّص عبر الرجل والمرأة
(بريشة جبران خليل جبران)



الروح الهابطة الى بحر الوجود
(بريشة جبران خليل جبران)

جـ - خاتمة

هكذا نجد أنّه لم يعد للموت رهبة، وأصبح باباً لحياة أو لولادة جديدة، وشرطاً ضرورياً لتكامل الحياة، وأنّ حَيَواتنا العديدة تتّصل ببعضها، وتؤلّف مجموعة متسلسلة تنتقل بواسطة الموت في مستوى إلى آخر. عبر هذا الاعتقاد بالعودة للتجسد يقف الإنسان على غاية الحياة وتصبح وسيلة لإصلاح الذات وتطوّرها، وأنّ العلم وحده لا يُصلح الإنسان ما لم يقترن بتهذيب النفس. وأنّ علم الروح يساعد الإنسان على تحمّل آلامه بصبر، وقيامه بواجباته حقّ القيام، لأنّه يعلِّم بنفسه من أين أتى، وإلى أين يذهب، وما هو مصيره بعد انحلال جسده المادّي وكيفيّة تحوّله، فيخضع لقانون العدل الإلٰهي، أو قانون الكارما، ويتأكّد من أنَّ كلاًّ من أعماله الخيِّرة والشِّرِّيرة ترتدّ عليه آجلاً، أو عاجلاً، هذ ما يدفعه إلى عمل البر ويردعه عن عمل الشر. كما أنّ التفكير بالتقمّص أدخل في كل فرع من العلوم أصولاً جديدة من التحسين، كما أنار علم أحوال النفس وقواها بكشفها النقاب عن سر تعدُّد الشخصيات وإثباتها بأنّ الحياة الحالية ما هي إلاّ محطّة وقتيّة في سبيل ارتقائها نحو الكمال الإلٰهي.

من هنا يجدر بنا أن ننبذ الإيمان الأعمى، ونتمسّك بالمعرفة القائمة على مبدأ العدل الإلٰهي. ألا يكفي ما حل في هذا العالم من مشاكل وحروب وويلات... وأنّ الإنسان لا يرى بصيص السعادة إلاّ بعد ان يبلغ مشارف مرتبة الكمال بجدّه وسعيه

ونفكيره الإيجابيّ، وعبادته، وقيامه بواجباته الدينيّة، ولا أحد يجهل أن الايمان الصادق بمبادىء علم الروح هو الذي يؤدّي بالمرء إلى بناء عالم سلام ووئام حقيقيّ، ومنه ينطلق نحو النور الأزليّ حيث تعمّ البهجة والسعادة.

الفصل الرابع

الجسد الأثيري

تمهيد :

لكلّ كائن حيّ إنساناً كان أم حيواناً جسد غير مادّي يطلق عليه : « وصف أثيريّ ، أو « كوكبيّ » Etheral or Astral Body . لهذا الجسد كيان مادّي الاّ أنّه بالنظر الى ارتفاع اهتزازه الى ما فوق اهتزاز الضوء بكثير لا يكون له الكيان المادّي للجسم العادي بالنسبة إلى حواسّنا .

يلازم هذا الجسد اللاّمادي الجنين في أحشاء أمّه ، ثم ينمو الجسد المادّي ويتخلّله الجسد الأثيري ، كما يتخلّل الماء العود الرطب . . .

يعتبر هذا الجسم صلة الوصل بين الروح الناطقة بمعنى الشرارة القدسيّة التي تهبنا الحياة ، وبين الجسد المادّي ، ويصل بين الجسدين حبل من ضوء يعرف باسم الحبل السري الروحي ، وقد وُصف قديماً « بالحبل الفضي » . يقول البعض إنّه يقابل الحبل السرّي الذي يصل الجنين بالمشيمة ، وينبغي قطعه وربطه عند الولادة .

عند الوفاة ينقطع هذا الحبل الفضي فتتوقّف الحياة في الجسد المادي، لتبدأ من جديد في المستوى الكوكبي، وهو أوّل مستوى تصل اليه النفس بعد الانفصال عن الجسد المادي بالوفاة. وهذا المستوى الكوكبي يتطوّر الى روحي في العالم الروحي Spitituel ثم إلى عقلي في المستوى العقلي للوجود Intellectul. وقد تعددت النظريات والمدارس في شأن هذا الجسد غير المادي لكنّها سلّمت كلها بوجوده، وبأنّه فعلاً هو الإنسان الحقيقيّ الموجود وراء قناع سميك.

١ ـ بعض مواصفات الجسد الأثيريّ:

يعتبر علماء هذا العلم أنّ الجسد الأثيريّ هو الرابطة بين الجهاز العصبي والمستودع الكوني المطابق Double في أبحاث علم الروح، ووصف النموذج الأصلي في أبحاث الباراسيكولوجية. ومن أوصافه نذكر:

ـ الجسد الحيوي Corps Vital للإشارة إلى أنّه مصدر الحياة للجسد المادّي، وموطن الحيويّة فيه.

ـ الجسد الهيوليّ أو السيال Fluidique للإشارة إلى طبيعته الهيوليّة أو السيالة الخاضعة للعقل الذاكرة، ومثله الجسد الرقيق أو اللطيف.

ـ الجسد النجمي Sideral لاتّصالة بمصير الإنسان، وبالعقيدة الذائعة عن تأثير النجوم في أبراج الناس.

ـ الوسيط المرن Intermediaire plastique أي الموقع الوسط بين العقل والمادة، أو بين الحياة والجسد المادي.

ـ يطلق عليه أحياناً وصف الشبح Fantôme لأنّه فيما عدا حالات التجسّد الكامل يظهر بمظهر الشبح أو الطيف، خلال الحياة، أو بعد الموت.

ـ يطلق عليه في المراجع الفرنسية Perıspérit ، وهو وصف انتشر منذ أوائل العهد بالبحث الروحي الحديث، وقصد به التعبير عن الروح بوصفها كائناً حياً له كيانه الخاص لا بوصفها مبدأ مجرداً، أو اعتقاداً دينيّاً أو فلسفيّاً...

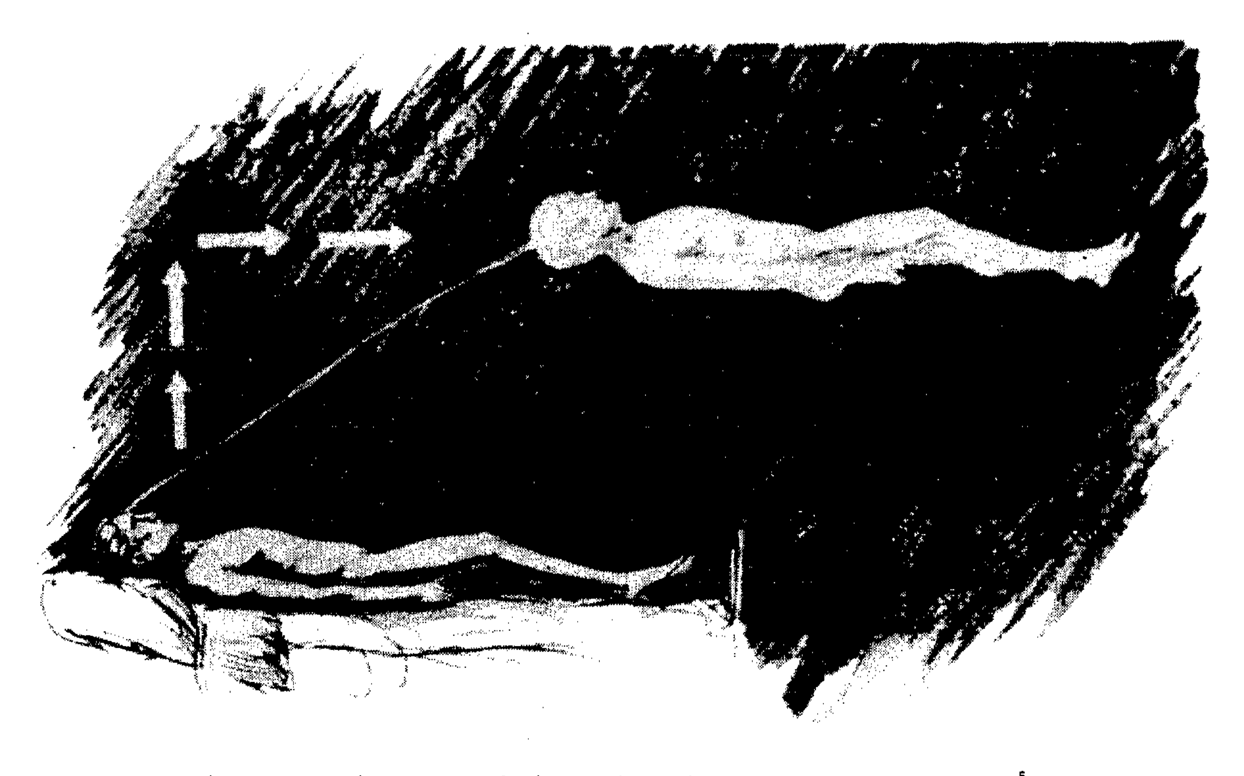
يمكن اعتبار هذا الجسد الأثيريّ أو النجمي من أخطر الحقائق التي كشف عنها علم الروح الحديث. وهو كشف جديد من الناحية العلميّة كان العلم يتجاهلها فيما مضى أو يتهرّب منها. ذلك لأنّ العلم الصحيح لا يجوز أن يتهرب من بحث أيّة ظاهرة مهما كان نوعها ومهما بدت تافهة قبل البحث. إنّ هذا الجسد الأثيريّ هو حامل شعلة العقل والروح. ولا يعتبر من خصائص الإنسان فحسب بل تبيّن من الدراسات الوساطية أنّه من خصائص الحيوان الأبكم أيضاً، وكذلك النبات والأجسام الجامدة، وهو الإنسان الحقيقيّ الداخليّ المتخفّي وراء الإنسان الخارجيّ المزيّف الذي خضع لشتّى الدراسات العلميّة تحت أوصاف متعدّدة مثل الطبّ، والفيزيولوجيا، والبيولوجيا، حيث إنّ الإنسان الحقيقي هذا لم يخضع لأيّة دراسات جادّة إلا منذ أن بدأ علم الروح يشق طريقه



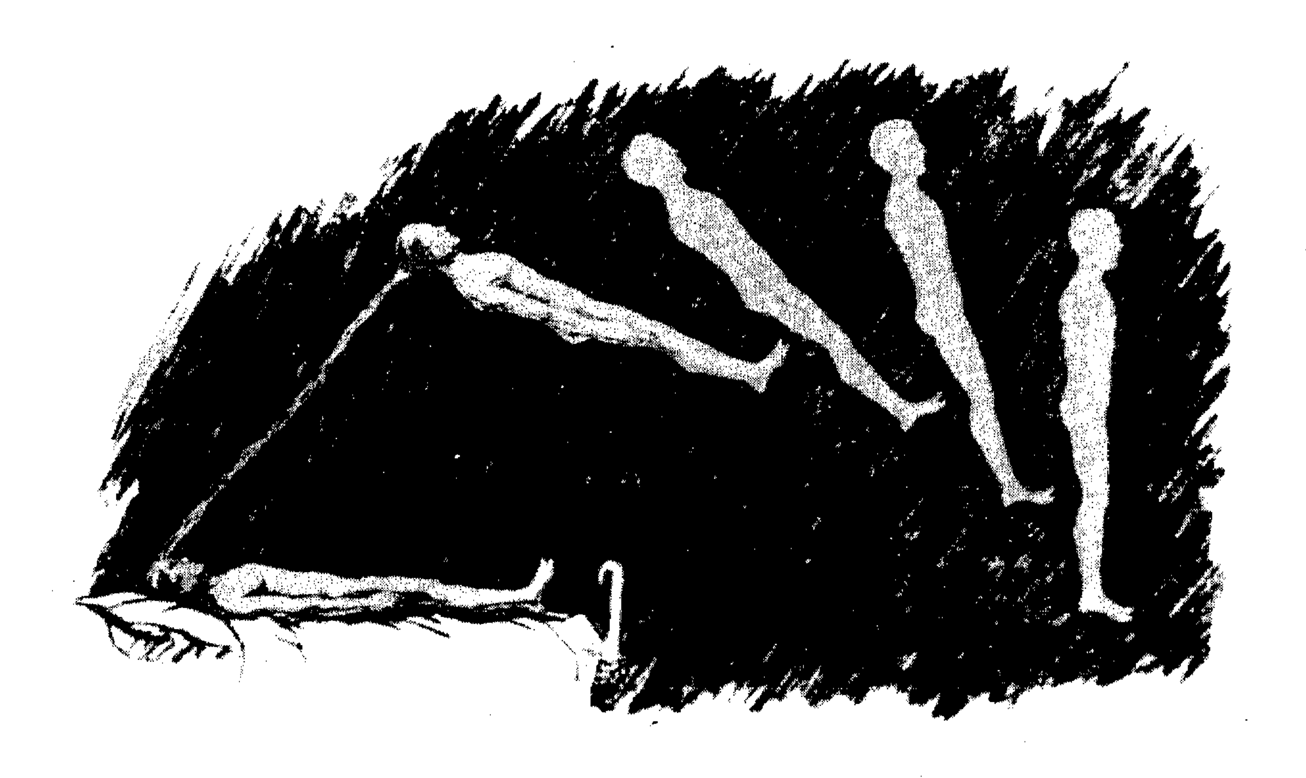
رسم صيني قديم يمثل ظاهرة خروج الجسد الكوكبي من الجسد العضوي، لاحظ الحبل الاثيري الذي يربط بينها .



بدء خروج الجسد الكوكبي أو الشبح من الجسد العضوي.
لاحظ الجسد الكوكبي طافيا في الهواء وهو أحيانا يستقر على هذا الوضع.



الأسهم تمثل الطريق الذي سلكه الجسد الكوكبي عند الخروج من الجسد العضوي. وقد يستقر الجسد الكوكبي على هذا الوضع عند الحلم بالطيران، وقد يعقبه حلم بالسقوط من مرتفع ما.



رسم يمثل عودة الجسد الكوكبي الى الجسد العضوي. وقد يعود اليه فجأة عند حدوث ضوضاء أو انفعال شديد، يصبح طافيا فوقه في مستوى أفقي ثم يدلف اليه فورا .

بمشقة بالغة حتّى تبوّأ مكانته الحاليّة.

٢ ـ مراكز الطاقة في الجسد الأثيري:

قام بعض العلماء ومنهم: م. فوايوم M. Voillaume باستكشاف مراكز الطاقة في الجسد الأثيريّ، فاستخدم طريقة التوافق البندولي المعروفة في علم الإشعاعات الحيويّة غير المنظورة، كما استخدم الدكتور أ. لوبرنس A. Le Prince جهاز الراديو بيومتر Radiobıometer. فأثبتا معاً وجود مناطق في الجسد الأثيريّ تطلق طاقة خاصة تؤثّر بدورها في الجسد المادّي، تتوزّع على النحو التالي:

المنطقة الأولى تقع تحت الذهن مباشرة.

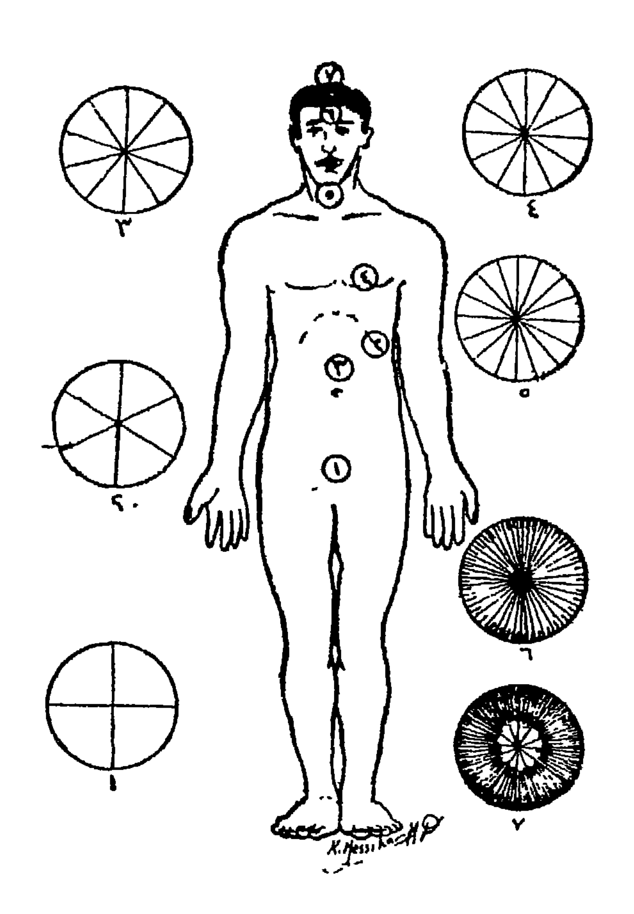
المنطقة الثانية في مستوى الضفيرة السمسيّة.

المنطقة الثالثة تقع في مستوى الضفيرة الماريقيّة.

المنطقة الرابعة تقع في مستوى الضفيرة العجزيّة.

المنطقة الخامسة تقع في مستوى مفاصل الركبتين وتحتهما.

هذا ما وصلت إليه بحوث العلم الروحي الحديث من نتائج، وهو يتفق الى حد كبير مع ما قرره حكماء الهنود منذ القديم عن وجود مراكز للطاقة أو (Chakras)، وهي دوامات تشبه الأطباق شكلاً، مقرها الجسد الأثيري، وقد يراها أحياناً ذوو الجلاء البصري. يقال إنّ هذه المراكز تتلقى الطاقة الكونية وينتج عنها



حركة دائرية موجبة ثانويّة في سطح الجسد الأثيري. لكلّ مركز منها ألوان معيّنة، وتنقسم هذه المراكز إلى عدة مجموعات، تشبه التوزيع السابق.

٣ ـ الهالة البشريّة Human Aura :

هي عبارة عن إشعاعات ضوئيّة تصدر عن جسم الإنسان وتحيط به من كل جانب، يراها وسطاء الاستشفاف بشكل بيضاويّ الشكل، تعلو وتنخفض وتتحرّك بصور شتى في مختلف

أجزاء الجسم. تختلف باختلاف الأشكال والأجسام المادّية ولكن على نطاق أوسع، وهي ذات ألوان تتداخل على نحو قوس القزح، يغلب عليها عند فرد اللون الأخضر، وعند آخر اللون الأزرق أو البني وغيره، وتسجّل عليه رغبات الفرد وعواطفه، ونزعاته وأفكاره، ومدى نضجه العقلي والخلقي والروحي. كما تسجل عليه حالته الصحية لأنّها تتأثّر بآلام الجسد وأمراضه.

درس البحّاثة شارل لانسلان Charles Lancelin في مؤلفه «ألروح الإنسانيّة: دراسات تجريبية - روحية - فيزيولوجية - بمعرفة روحي» الذي احتوى خلاصة بحوث استمرّت من عام ١٩١١ الى عام ١٩٢٠ هذه الهالة في كل أوضاعها.

توصّل الدكتور أوسكار بانيال الأستاذ في مبردج إلى أنّ هذه الهالة تنجذب إلى المغناطيس عند تعليقه بالقرب منها وتشبه في بعض خصائصها العامة المجال الكهربائي عندما ينشأ حول المادة الموصلة المشحونة بالكهرباء... كل هذه الأبحاث أثبتت أنّ إشعاعات الروح الإنسانيّة حقيقة واقعة. وقد اخترع الأستاذ هاري بودنجتون Harry Boddington جهاز شاشة كيلز للكشف عن الهالة وعن ألوانها المتعدّدة التي قد لا تكون منظورة بالعين المجردة وحتى لوسطاء الجلاء البصريّ.

عند الروحيين، تعني كلمة «هالة» الجوّ الروحي الذي يحيط بالأشخاص، أو بالأشياء، ونجد فيها أصنافاً متعددة بقدر تعدد مستويات الوجود، من أهم وظائفها حماية العقل من بعض التأثيرات التي يتلقّاها من الخارج، فتبدو له في صورة مضايقات

رسم يمثل اشعاعات منبعثة من يدي الوسيط الروحي يشاهدها وسطاء الجلاء البصري وتظهر واضحه خلال جهاز كيلنا سكرين

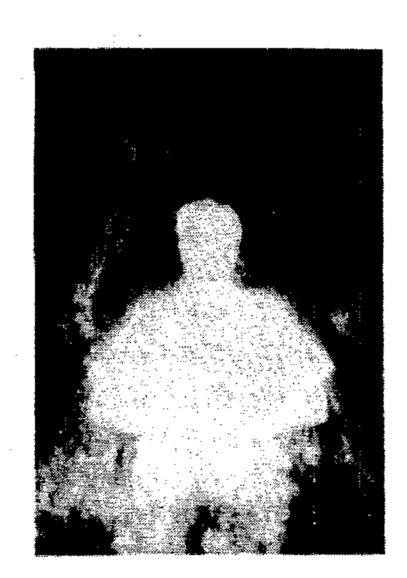
نفس الاشعاعات تتحرك في كل اتجاه مع حركه يدي الوسيط وهو ما ينفي خداع النظر.

نفسيّة، أو قلق، أو عدم استقرار. يمكن تشخيص بعض الأمراض عن طريق اضطرابات الهالة وذلك باستخدام موهبة الجلاء البصري لأنّ بعض الأمراض يبدأ في الجسد الأثيري لا في الجسد المادّي تاركاً أثره في الهالة، لذا نجد أنّ صحّة الإنسان لا تتوقّف على حالة الجسد المادّي وحده، بل أيضاً على الأمور الروحيّة...

يبعد محيط الهالة عن إطار الجسم المادّي بأبعاد متفاوتة تتراوح بين عدة سنتيمترات وعدة أمتار، وكلما قويت ازداد امتدادها.

وفي الهالة، أيضاً، مراكز للطاقة ينبعث منها الضوء بإشعاع دقيق ومشرق. تربط بين هذه المراكز خطوطاً دقيقة من الضوء تحدد الإطار الخارجي للشكل الإنسانيّ. تساعد الحياة النقية والأفكار المستقيمة في تقوية الهالة وتنميتها كما تزوِّدنا بحيويّة

متجدّدة. درس الدكتور ريتشاردز الذبذبات اللونيّة للهالة وقارنها مع ذبذبات أفلام ملوّنة، فوجدها متطابقة، ووضع بيانـاً مفصّلاً لقياس حلقات الهالة في مختلف حالات تطوّرها، هذه الإشارات الموجبة الصادرة عن الهالة هي التي تنقل الأفكار عن طريق التلباتي. وفي عام ١٩٦١ وضع المعهد الدولي لمـا وراء الروح فـي باريس جهازاً إلكترونياً لقياس استكشاف وسائل وظروف التواصل التجريبي بالأفكار بين الأفراد وقد صمّمه الأستاذ رينه هاردي.

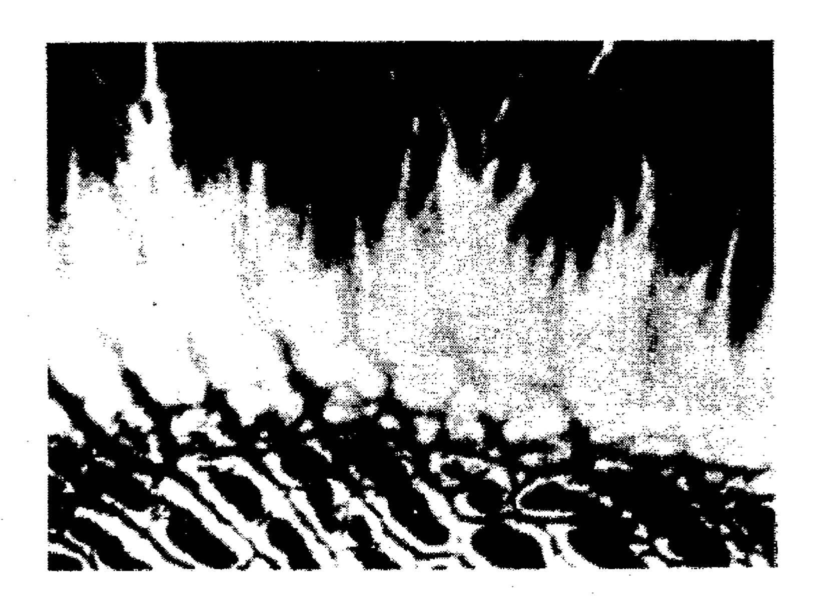




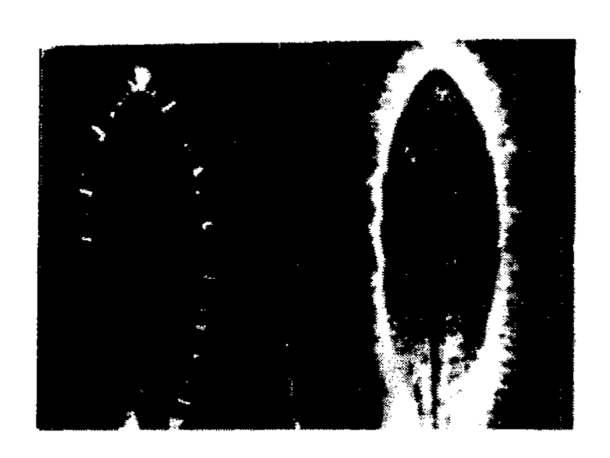
الهالة الانسانية مع انبعاثاتها المختلفة في «البعد الرابع للمكان» كما نجح في تصويرها العالم الايطالي كازامالي **Cazzamalli** .

(عن كتاب A. Leprince: Energie Psychique 1964).





هالة إنسان تنبعث منها واضحة شعلات الحياة كما نجح في تصويرها العالم السوفييتي سيمون كيليريان وقرينته فالنتينا.



صورتان لهالة ورقة شجر حصل عليهما العالم الروسي كيريليان وقدمهما الى «المؤتمر الدولي للباراسيكولوجي» الذي عقد في موسكو في سنة ١٩٧٢ . الى اليمين صورة الهالة بعد قطف الورقة مباشرة، والى اليسار صورتها بعد مضي خمس ساعات من قطفها .



صورة لأوراق زهرة لم تقطف بعد ، التقطت بواسطة جهاز كيرليان، وتبدو فيها الهالة مشرقة تماماً .

٤ ـ تصوّر الجسد الكوكبي (الأثيري) في التنويم المغناطيسي:

بعد إحداث عدّة تمريرات مغناطيسيّة يمكن أن يحدث الانفصال بين الجسدين الفيزيائيّ والكوكبيّ، وقد شوهد في بعض التجارب المغناطيسيّة خروج غيمة من مادة بخارية من موضع أو آخر من الجسم، وأنَّه عندما وصل هذا البخار إلى درجة كافية من الكثافة، اتّخذت العناصر التي تكوّنه أمام بصر الحاضرين شكل سائل بلون أحمر باهت من الناحية اليمنى، ولون أزرق من الناحية اليسرى، ثم تجمّعت معاً في كتلة واحدة تكون من جهة القلب.

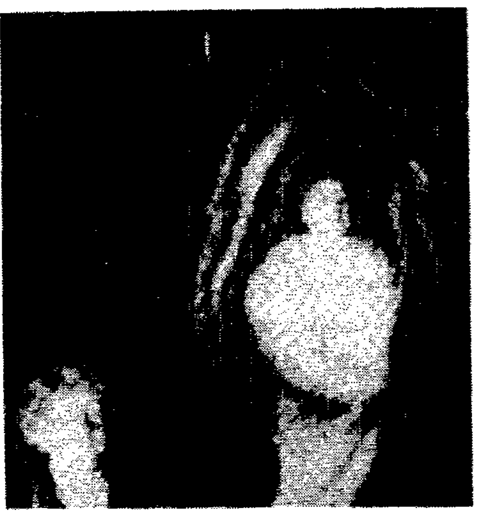
تحوّل السائل إلى شكل عمود بخاري يميل إلى اللون الرمادي ثم اتّخذ تدريجياً شكل الشخص المنبعث منه. هذا المقابل يملك حساسية الشخص، وتربطه به رابطة سائلة هي الحبل الفضي الذي تجري عن طريقه القوة الحيوية المستمدة من المستودع الكوني العظيم، والتي لا يمكن الاستغناء عنها للمحافظة على الحياة.

ينبغي إجراء مثل هذه التجارب بحذر شديد من جانب المختبرين. هذا القابل الذي يُعرف بالجسم الحيويّ هو الذي يحتفظ بالعناصر الخام من الجسم الفيزيائي أثناء الحياة على الأرض والتي تكون قابلة للتجدّد.

تمّ تصوير هذه التجارب في دائرة «فبات لوكس» في مدينة نيس جنوبي فرنسا، فكانت الصور قاطعة لكلّ شكّ، أو وهم، أو

إيحاء، أو غيره. وهذه هي الصور:





الصور التالية تسجل خروج الجسد لوسيطتي جلاء بصري في دائرة علميّة للبحث الروحي بمدينة نيس Nice في فرنسا. يلاحظ السيال الروحي الذي يصل بين الجسدين الكوكبيّ والعضويّ، وأنّ الجسد الكوكبي أصغر قليلا من الجسد العضويّ.

وقد حسمت هذه الصور والصورة اللاحقة ظاهرة « الخروج من الجسد »



٥ ـ مخاطر الخروج من الجسد:

رغم أهميّة الخروج من الجسد في الكشف عن الطبيعة الروحيّة عند الإنسان، ومن ثم تعيين حقيقة موضعه في الكون، فإنّ له مخاطره أيضاً، شأن الكثير من الظواهر الروحيّة، خاصة في حال لم يتمّ التدريب والدراسة والتطبيق وفقاً للأسلوب العلميّ، وضمن إطار الفهم والاعتدال والحذر. فقد لخص الوسيط أوليفر فوكس

Oliver Fox مخاطر الطرح الروحي في سبعة احتمالات هي:

١ - إمكانيّة ظهور هبوط في القلب.

٢ - إمكانيّة الوقوع في خطأ في تشخيص الحالة، واعتبارها وفاة، وبالتالي دفن الشخص دفناً معجلاً.

٣ - الإحساس أحياناً بالضيق.

٤ - إمكانيّة حدوث نزيف في المخّ.

٥ - في حال حدث انفصال للحبل الأثيريّ الذي يصل بين الجسدين الفيزيائي والكوكبي، وهذا يعني حدوث الوفاة (أي الطرح الروحي النهائي).

٦ - في حال عانى الجسد الفيزيائي متاعب ينعكس ذلك على الجسد الفيزيائيّ.

٧ - إمكانيّة استيلاء على الجسد الفيزيائي بمعرفة كائن غير متجسّد.

إنّ ظاهرة النوم العادي قد تتضمّن أحياناً عنصراً من عناصر الخروج من الجسد، فإنّ ما يسبب النوم العادي باديء ذي بدء هو حدوث انفصال مؤقت بين الجسد الكوكبي والجسد الفيزيائي، وهذا الانفصال قد يتحول إلى خروج كامل للأوّل من الثاني، أو قد لا يتحوّل.

يصبح بمقدور الجسد الكوكبيّ أن يحصل من بيئته الجديدة على الطاقة الحيويّة fore vitole التي تحملها التيارات المغناطيسيّة

والكونيّة المحيطة بها، وحيث إنّ ظلام الليل يساعد على تقويتها، وتسهيل مهمّتها في تغذية الجسد الكوكبيّ، وإمداده بالنشاط والحيويّة اللازمين له.

وفي مختلف الأحوال ينبغي أخذ الحذر والحيطة والجدّية في كلّ بحوث الظواهر الوساطيّة.

٦ ـ أجساد الإنسان:

ممّا لا شكّ فيه أنّ أخطر الظواهر الروحيّة ظاهرة «الازدواج» أي ظهور الإنسان أمام الآخرين، أو أمام نفسه كما لو كان عبارة عن شخصين، لا شخصاً واحداً، وهي ظاهرة نادرة جدّاً. تقول النظريّة الثيوصوفيّة: إنّ الإنسان لا يملك مقابلاً أثيريّاً واحداً، بل عدة «مقابلات» غير منظورة، ومتداخلة فيما بينها كتداخل أوراق البصلة الواحدة مع تفاوت في رتب الاهتزاز تفاوتاً ضخماً فيما بينها، فإنّ هذه النظريّة تفسّر ظهور بعض الأشخاص كما لو كان عبارة عن ثلاثة، أو أكثر كما حدث مع بعض الوسطاء الروحيين.

استناداً الى ذلك، للإنسان سبعة أجساد متداخلة معاً لا جسدين فحسب، هي:

١ ـ الجسد العضويّ Somatic المكوّن من المادة الكثيفة.

٢ ـ الجسد الأثيريّ Etherie الذي هو مادّي أيضاً، لكنّه غير خاضع للحواس.

٣ ـ الجسد الكوكبيّ Astral الذي هو في مستوى العالم الكوكبي ومكوّن من المادّة «الكوكبيّة».

٤ ـ الجسد العقليّ Mental الذي هو مركبة الوعي.

٥ ـ الجسد السببيّ Causal الذي في الجسد العقليّ الأعلى، والذي يعمل في مستوى المناطق العليا من العالم الكوكبيّ.

٦ ـ الجسد الروحيّ Spiritual.

٧ ـ الجسد العام Univusal. يصعب وصف الجسدين الأخيرين في المعنى الشائع لهذه الكلمة لأنّهما عبارة عن «حالات سامية من الوعي». ننتقل بعد ذلك الى دراسة بعض الحالات الخاصة في الخروج من الجسد.

٧ ـ التقارب بين الخروج المؤقّت والخروج النهائيّ:

يمكن وصف الصور السابقة بوصف مشترك واحد هو «وصف الخروج أو الطرح الروحيّ المؤقت» لأنّه من المفروض أن ينتهي الخروج من الجسد بعد فترة بعودة الجسد الأثيريّ أو الكوكبيّ إلى وعائه الفيزيائي من جديد.

ممّا لا شكّ فيه أن يكون هناك تقارب واضح بين هذا الطرح المؤقّت وبين الموت بوصفه طرحاً دائماً من ناحية طبيعة سلوك الجسد الأثيريّ أو الكوكبيّ في علاقته بوعائه الفيزيائيّ، أمّا الفرق بينهما فإنّه يكمن في كون الموت طرحاً روحيّاً دائماً أو نهائيّاً، لأنّه ليس من التصوّر بمكان أن يعود الجسد الأثيريّ أو الكوكبيّ إلى وعائه الفيزيائي نفسه الذي أصبح غير صالح للإقامة فيه.

إنّ ظواهر الطرح الروحيّ على صلة وثيقة بمواضيع النوم والموت والخلود. لنلقي نظرة على آراء بعض الباحثين:

يقول س. ملدون وهـ. كارنتون: «إنّ هذه الظواهر لا تختلف كثيراً عن الموت نفسه (ليس الموت سوى طرح نهائيّ للروح). ففي حالة يكون الطرح مؤقّتاً، وفي حالة أُخرى يكون دائماً، لكن الموت ليس أشدّ إخافة، ولا إعجازاً من ظواهر الطرح هذه. ولقد رأينا في حالات عديدة أن اختبار الطرح بدأ لذيذاً إلى حدّ أنّ المطروح لم يكن يرغب في العودة إلى الحياة الأرضيّة، وأنَّ الوصول إلى العالم الروحي كان سهلاً وجميلاً، في أنّ اختبار العيش هنا في العالم الراهن لم يظهر لهم سعيداً تماماً»...

أمّا سويدنبرج Sweedenborg فقد وصف لنا كيفيّة تركه لجسمه وزيارة بلاد الأموات، قال: «لقد أعلموني أنّ الروح الإنسانيّة تواصل حياتها، وتحيا في العالم الآخر، كما سمحوا لي أن أقوم بالاختبار بنفسي حتى أتمكن من تفهّم أسلوب الموت تماماً... ولقد أمكنني أن أرى بادىء ذي بدء، على بعد معين مني، ملائكة مملكة السماء، وكان يجلس اثنان منهم بالقرب من رأسي. ولم يكونا يتحدّثان، لكنّنا كنّا نتبادل الحديث عن طريق انتقال الأفكار. ولأنني كنت أدرك الأفكار التي كانا يرسلانها إليّ، فقد عرفوا أنّ روحي كانت في حالة تملّكها من الخروج خارجاً عن جسدي»...

وكتب فريدريك مايزر العالم النفس المعروف معلّقاً على ظاهرة الطرح الروحي بعد أن تحقّق من صحّتها: «إنّ ثمّة نقطتين هامتين هما مقدار الجهد الذي بذله المجرّب، ودرجة إدراكه لمدى النجاح الذي حقّقه. ففي هذه الحالات من الطرح

الذاتي توجد لدينا قدرة على تحقيق أمور غير مألوفة ولا أقول أنفع ما نقدر عليه. فماذا يمكن أن يكون أبعد عن أيّة قدرة معروفة لهذه الإرادة من القدرة على أحداث مظهر للذات مرئي على مسافة ما؟ فهل يمكن أن يوجد عمل مركزي يبدو أنّه ثمرة جهد أكثر عمقاً، وأشدّ ارتباطاً بكلّ الوجود الإنسانيّ من عمل كهذا!...»

من هنا يُفترض بنا ألاّ ننظر الى الذات العليا Subluminal وكأنها مجرَّد رابطة تربط بين مجموعة أعاصير نفسيّة أو دوّامات، ومعزولة بصورة ما عن مجرى الوجود الإنسانيّ، أو بالأحرى بوصفها تمثّل المجرى المركزي الفعال، وأقوى ما يمكن أن تتميز به شخصيّة إنسان.

أما الدكتور ألكسندر كانون A.Canon[1] فقد أمضى في الهند سنين طويلة باحثاً في الظواهر الروحية عندهم، وقال: «إنّ مدارس التدريب الروحي تهتمّ بتعليم الطالب كيف يطرح جسده الكوكبي تحت إشراف معلّمه، فيخضع هذا الطالب لفترة تدريب طويلة وقاسية قبل أن يعلن أنّه أصبح قادراً على الطرح الواعي خارج الجسد. لتحقيق ذلك يجب أن يثبت أنّه أصبح قادراً على السيطرة على عقله ورغباته وانفعالاته...». ويضيف كانون قائلاً: «إنّ العلم قوّة، وعلوم الشرق حصل عليها أصحابها بعد قرون عديدة من الجهد ومن الاختبار. أمّا في الغرب فنحن ما زلنا في بداية الالتفات إلى وجود الجسد الكوكبيّ... كما وصلنا إلى

(١) قوة الكارما، الكسندر كانون.

بعض الاكتشافات عن الهالة والجسد الأثيريّ، التي أيّدها الجلاء البصري. يفترض بنا أن نتطلع إلى الأمام نحو اعتراف عاجل بهذه الوقائع التي تحدَّث عنها من قديم معلمو الشرق الكبار »، ثمّ أكمل حديثه عن الأرواح المرشدة وعن المعلّمين الذين يفنون بجانب الطالب لمساعدته على الخروج من جسمه.

تحدَّث عدد كبير ممّن اختبروا هذا الطرح الكوكبيّ عن وجود غير منظور لروح مرشد، أو معلم، أو عن ظواهر منظورة لمعلّمين بملابس بيضاء...».

ثم كتب روبرت كروكول في كتابه بعنوان « دراسة الطرح الكوكبيّ وتطبيقه » قائلاً: يمكن توزيع حالات الطرح الروحيّ إلى نوعين: نوع يحدث طبيعيّاً، ونوع يحدث قهريّاً، أمّا النوع الطبيعي فإنّه يقسم بدوره إلى أربعة أنواع:

(١) يحدث النوع الأوّل لأشخاص « ماتوا » تقريباً (ظهور أعراض موت ظاهري).

(٢) يحدث النوع الثاني لأشخاص في حالة مرض شديد.

(٣) يحدث النوع الثالث لأشخاص في حالة إجهاد شديد.

(٤) يحدث النوع الرابع لأشخاص في كامل صحّتهم ونشاطهم. أمّا النوع القهريّ فإنّه يحدث في حالة التخدير الجراحي (أو إدماني)، وفي حالات الاختناق، وفي حالات السقوط من مكان مرتفع، وفي حالات التنويم المغناطيسيّ وغيرها.

ففي كلّ أربع من خمس حالات للطرح الروحي يكون

« الطارح » في حالة صحّيّة ونفسيّة صحيحة، وبالتالي فإنّ المرض والألم يعتبران سببين نادرين للطرح الروحي؛ ونتيجة لذلك تصبح ظاهرة مغادرة الجسم الفيزيائيّ ظاهرة طبيعيّة، وليست ظاهرة شاذّة.

هناك رواية لعدد من « الموتى » تقول: « إنّ عدداً كبيراً من الناس لا يعي بادىء ذي بدء أنّه قد توفي وأنّه قد ألقى بجسده نهائياً. هذا القول تؤيّده أقوال عدد من حالات الطرح الروحي المؤقت حيث يقرّر أصحابها أنّهم - كالموتى - ظلّوا يعتقدون في أوّل الأمر أنّهم لا يزالون في أجسامهم الفيزيائيّة « مقابل » الجسم المادي.

من بين الذين أعيدوا الى الحياة كان هناك أشخاص عديدون كانوا متضايقين من العودة الى هذه الحياة، إلى حدّ أنّ أحدهم تطاول على طبيبه رغم حسن نيته. لكن هذا القول يبدو غير قابل للتصديق.

إنّ الطرح الكوكبيّ يؤكّد دوام الحياة ما بعد الحياة، ويوضح كيفيّة حدوث الموت. كما يقدّم لنا معلومات واضحة ومحدّدة عن ظروف وبيئات الحالات المتتابعة التي تلي الموت، رغم أنّ الطرح أمر عام، وأصبح يعرف بأنّه طبيعيّ.

تقول كاترين كرو Ctherıne Carowe عام ١٨٤٨ « إذا سيطرنا على مطالب الجسد فإنّنا نحرّر وثاق الروح ونمكّنها من أن

تكشف عن قدراتها الدفينة. وقد فعل ذلك كثير من الزهّاد والمتصوّفين، بشكل طوعي. وعندما يكون من المرغوب فيه أن نسعى إلى تحقيق ذلك، فإنّه من المرغوب فيه أن نزوّد أنفسنا بالثقافة التي نحصل عليها عن طريق العلم، وبذلك تصبح صلاتنا بالعالم الروحيّ حقيقة ثابتة لا مجال للشكّ فيها.

٨ ـ الميلاد الثاني:

تبدو النتيجة الحتميّة من كلّ ما ورد معنا أنّ الموت ليس فناء نهائيّاً، بل مجرَّد ميلاد ثانٍ للإنسان في عالم آخر، لحياة ما بعد الحياة على الأرض، أو بحسب تعبير العالم الكبير أنشتاين: «انّ الموت جواز سفر إلى مكان آخر».

قام وسطاء الجلاء البصريّ Clairvoyants بوضع خطوات حصول هذا الميلاد بعد أن عاينوا عدّة أفراد ساعة الاحتضار. أشهر من روى عن ذلك الوسيط أندرو جاكسون دافيز Andrew Jackson Davis في مؤلفه عن «الموت والحياة التالية» ووصف عمليّة الانتقال قائلاً: «نام الرجل على فراشه يعاني سكرات الموت... كان موته سريعاً. ازدادت سلبيّة الجسد كما ازدادت برودته بازدياد الإيجابيّة والدفء في الجسم الروحيّ. وبردت القدمان أوّلاً... وظهر فوق الرأس مباشرة ما يصح أن نسميّه هالة مغناطيسيّة يراها كلّ ذي جلاء بصري وهذه الهالة انبعاث أثيري ذهبي اللون يختلج وينتفض كأنّه يحس بكل شيء ويشعر.

وصلت البرودة إلى الركبتين والساعدين ثم امتدّت إلى الردفين،

ومن بعدها إلى الصدر والجانبين، واقترب الانبعاث من السقف وانقطع تنفس المحتضر وسكن نبضه. ثم استطال ذلك الانبعاث وتشكل بصورة إنسان وبقي متّصلاً بالمخ. ما لبث أن اهتزّ الرأس من الداخل بهزّة بطيئة عميقة ولكنّها غير مؤلمة، فكانت كهزة ماء البحر القليل التماوج.

أمّا القوى الذهنيّة فقد ظلّت سليمة إلى أن فات آخر جزء منه، وبقي يصل ما بين هذا الانبعاث الذهني والمخ خيط دقيق جداً من خيوط الحياة، وما لبث أن ظهر على جسم الانبعاث شيء آخر أبيض لامع في شكل الرأس. ظهر بعدئذ وجه نراه، وبدا بعد ذلك رقبة لطيفة وكتفان جميلان، وتلا ذلك بسرعة ظهور بقية أجزاء الجسم حتى القدمين، فإذا الجسم شبح زاه لامع كلّه، يزداد اصفراره قليلاً، لكن الخيط الرفيع يبقى متصلاً بالمخ القديم، ولم يبق بعد ذلك إلاّ انفصال هذا العنصر الأثيريّ، ومن ثمّ أفلت الخيط الفضّي وتحرّر الجسم الروحي...».

هناك حالة مماثلة مع السيّدة دي مورجان عقيلة العالم الرياضي المعروف أوغسطوس دي مورجان Augustus de Morgan وقد وردت في كتاب «من المادة الى الروح». وهي: «ذات يوم كنت بصحبة صديقة أعلم أنها ذات حاسة رؤية روحية (جلاء بصري) متقدّمة، وكنّا إلى جوار فراش إنسان محتضر، وعندما تحوّل تنفّس المحتضر إلى مجرّد لهاث شاهدت غيمة بيضاء تنبعث من الجسد وتقف على بعد حوالى ١٠ سم منه، وكانت صديقتي تلاحظ بانتباه الظاهرة نفسها. وكانت عينا صديقتي تشرقان بقوة



انطلاقة الجسد الكوكبي عند الموت

عندما تبصران أياء غير مألوفة. بعد عدّة التفاتات شرحت لي أنها شاهدت: « ضوءاً أبيض داكناً يتصاعد فوق الأغطية وهو الشيء نفسه الذي شاهدته فيما سبق في ظروف مماثلة.

تحوّل انتباهي بعد ذلك إلى رأس الفراش حيث تكاثف الضوء على شكل عمود بلغ طوله ١٣٠ سم. ومن هذا العمود انبعثت إضاءة ذات بريق متوسط بين بريق الشمس والقمر، داخل هذا

البريق استطعت أن أرى إشراقاً أشدّ حيويّة يزداد في المنطقة الوسطى، وتكررت الظاهرة نفسها عندما لفظ المريض آخر أنفاسه. بعدها بدأ العمود المشرق بالاختفاء تدريجيّاً».

بواسطة هذه الأبحاث تمكّن البحّاثة من الحصول على آلاف الصور التي تمثِّل أجساداً أثيريّة لسكان العالم الآخر. وهي تبدو مماثلة لأجسادهم الفيزيائيّة التي تتخلّى عنها بالوفاة. كلّ ذلك يثبت صحة ظاهرة التأثير المباشر للعقل في الألواح الحسّاسة، كما يُثبت في الوقت نفسه صحّة وجود الأجساد الأثيريّة وعدم فنائها في الموت.

خاتمة

لا بد من كلمة في هذا المجال: نحن الشرقّيين بحاجة أكثر من غيرنا إلى الروح العلميّة. ذلك أنّه خلال قرون عديدة من الجمود استشرت لدينا طائفة كبرى من الأوهام والخرافات حتى في أمور الروح بالذات، فشوّهت في كثير من الأحيان موازين الحكمة والفضيلة والمحبة، والصحة...

لا تكون النهضة الحقيقية عن طريق الإحساس الجدّي بضرورة تفهّم الأمور والارتباط بالحقائق العلمية البعيدة كل البعد عن شوائب الوهم والخرافة وعن شوائب الغلوّ والتطرّف التي أساءت كثيراً الى تقدّم الإنسان، خاصّة كلّما ازداد رسوخها في الفكر و الوجدان... ضمن هذه السياق فليعمل المفكّرون المخلصون، ولينشط الساعون الى خير وتقدّم الإنسانيّة. هكذا تتحقّق أمنيات النفس والحياة الناجحة والسعادة.

الفصل الخامس

حالة الخروج من الجسد

١ ـ مقدّمة:

قد تلتقي جانيت صباحًا في الشارع دون أن تدري أنّها تعيش تجربة غريبة من نوعها، ليس ذلك مجرَّد ظاهرة. إنّها جدّة ككلّ الجدّات التي نحبّهنّ، ليست ضخمة جدّاً، بل إنّها عاديّة، وجهها طريّ رغم وجود بعض التجعّدات، شعرها أبيض، خفيفة الحركة وبشوشة. توحي بالصحّة الجيّدة والتوازن النفسي السليم. عيناها رماديتان ويقظتان، تظهران حساسية قويّة، وملامح عقليّة جادّة. رغم هذه الظواهر المألوفة فإن جانيت شخص بعيد عن عامة الناس:

بلغ عمر جانيت جوسنة Jeanne Guesné اليوم (١٩٨٨) ستة وسبعين عاماً، لكنّها تقتل نفسها منذ أكثر من أربعين سنة. لم تخبر أحداً عمّا تجرّأت أن تسرده الآن. ليس ذلك مجرَّد خوف، بل لأنّها تتابع ما أطلقت عليه «تلمّسها الروحاني» ولا يتطلّب ذلك توضيحات لفظيّة.

خلال مرحلة شبابها، كان لجانيت صداقة خاصة مع امرأة عجوز، وكانت هذه العجوز تؤكدّ أنّها تستطيع الخروج من جسدها ساعة تشاء. لم تشكّ جانيت بكلامها لكنّها لم تكن تعرف أيّة تقنيّة دقيقة، لكنّها أرادت أن تقوم بالتجربة بمفردها، فتوصّلت اليها بعد ثلاثة عشر شهراً من الجهود المتتابعة. كان عمرها آنذاك ثمانية وعشرين عاماً.

كلّ ليلة بين الساعة الثالثة والرابعة صباحاً، تتمدّد في سريرها وذراعيها جانب جسمها، تسترخي بشكل عميق أكثر فأكثر الى أن يصبح تنفّسها خامداً وتبقى تنتظر.

قالت: «في إحدى لحظات انتظاري، شعرت بكل تأكيد أن ازدواجيتي موجودة فعلاً. حينئذ غمرني خوف فظيع، خوف باطنيّ. وأنا أحسُّ بالشلل، كما شعرت بخطر الموت... قمت بمجهود يعجز عنه الوصف، وخرجت من جسدي، وجدت نفسي فاقدة الوزن، أطوف في سقف غرفتي... بعد عدّة محاولات للوقوف منتصبة نزلت بمستوى أرض البيت تقريباً. لاحظت نوراً يكاد يكون أزرق كضوء القمر يغمر غرفتي. تأمّلت مفروشات الغرفة بوضوح، وبادىء ذي بدء سريري الذي كنت نائمة فيه مسطّحة على ظهري، في حين كان زوجي نائماً على الجهة الأخرى. لمست وجهه، كان طرياً وفاتراً، بينما وجهي كان أكثر برودة».

بقي شعورها بالغرابة يتزايد فأرادت أن تعانق نفسها على

الوجنتين، وفي لحظة تنفيذ الحركة حدثت صدمة أعادتها فجأة الى جسدها.

هذه التجارب عن الخروج من الجسد، كلّ بلد يطلقون عليها اسماً متبايناً، إنّما المقصود واحد، المهمّ أنّ السيّدة جانيت قد حدّدت ذلك إرادياً مئات المرات خلال عدّة سنوات. وبكلّ وضوح ودون أن تكون نائمة، وفي ظروف تشعر خلالها أنها تحيا بصحّة جيّدة مع كل تأكيدات بالوعي التام والصحّة الجيّدة...

هكذا يمكننا أن نعتبر الحياة خارج الجسم أنّها نقلة وعودة أو... في حين أنّ كلّ الناس يتّفقون على اعتبار الموت أنّه هدم كامل للجسم الطبيعي. وهنا لا بدّ من أن تؤكّد أنّه لا حياة خارج الجسم. فالجسم البشري يحتاج للمادة الطبيعيّة كي يحيا: الخلايا والدم والأعضاء والدماغ، باختصار هو بحاجة الى كلّ الميكانيزمات الجسميّة الضروريّة للحياة. يبدو الجسم وكأنّه «غلاف» لا تستطيع الحياة التخلّي عنه. هل يمكننا أن نتصوّر شخصًا يؤكّد أنّني أعيش فعلاً خارج جسدي؟

ملاحظة: هذا التعبير «حياة خارج الجسم، أو حياة خارجة عن الجسم» هي تعابير مخالفة للأصول. أجل مهما كانت أنواع الإحساسات التي يشعر بها هؤلاء الذين يقولون أنّهم تنقّلوا خارج جسمهم، هذه الأحاسيس هي بالتأكيد متولّدة من دماغهم، وعندما يعمل الدماغ، لا يمكننا القول: «أنا أعيش خارج جسمي» إنّها بشكل آخر سهولة التعبير لفهم الإحساس الذي تمّ الشعور به.

من المهمّ إعادة ذلك الى الروح بوضوح قبل قراءة هذا الفصل. علماً أنّ جانيت ذاتها لا تستخدم هذا التعبير في كتبها التي نشرتها مؤخراً...

حتى إذا قرأنا الانتقالات خارج الجسد عند روبير مونرو Robert Monrôe[1] عندما يتكلّم عن الانتقالات في الكوكب، كان مأخوذاً بروايات كارلوس كاستانيدا C. Castaneda تبدو تجربة جانيت جوسنه أكثر إقناعاً من غيرها.

٢ ـ كيف يكون العيش خارج الغلاف الجسدي؟

في الوقت الذي كانت فيه جانيت مريضة بشكل خطر لا يمكنها التحرّك من فراشها استطاعت أن تخرج من جسدها وتعود اليه بسهولة خارقة. كانت تعتقد أن هذه السهولة تعود الى هبوط ضغطها الشرياني ممّا يساعد في عمليّة الانفعال. جرت عمليات الخروج هذه إمّا انطلاقاً من نقطة دقيقة تقع فوق الأذن اليمنى (غالباً) إمّا من الحلق (العنق)، أو من العين (مع شعور بدوران سيّىء). «كنت مساء أحد الأيام ضعيفة جدّاً، ومزدوجة بشكل جزئيّ، شعرت بيد صديقة، ناعمة وكأنّها يد رجل تشدّ على يدي بقوّة كي تقوّي ثقتي، أُخذت حالاً، وشعرت بدوران مع صفيرٍ حاد، دون أن أستطيع ضبط الأمور، ومن ثم وجدت نفسي فجأة على هضبة واسعة مغطاة بالثلوج...».

في ليلة أخرى، شعرت جانيت أنّها تركت جسدها من كلّ

(١) Robert Monroc: Journeys of body (New york 1971).

مسام جسمها تدريجياً، شعرت وكأنّ مادة سائلة تتبخّر من جسمها كي تعود وتكوّن صورة متلاحمة خارجها... توصّلت الى تخفيف سرعة خروجها الى أقصى حدّ كي يستطيع مراقبة التطوّرات بشكل أفضل، وبعد العديد من التجارب المتجدّدة، توصّلت الى ما يلي: يحدث الانفصال بين الغلاف الفيزيائي (الجسم) و« الجوهر الواعي » عندما تشعر بائتلاف متناغم (وكأن هذه الازدواجيّة تحدث بتواتر خاص) يعمل « كمنخل » بين حالتي الكائن.

سنرى لاحقاً كيف أنّ هذا الشعور بالحياة خارج الغلاف الفيزيائي يمكن أن يشارك في تحقيق الفرضية، وأنّه يوجد أشكال أخرى كثيرة من الحياة غير الحياة الجسديّة. تؤكّد جانيت ذلك قائلة: « كلّ هذه الأنواع من الخروج الإرادية أكّدت لي أنّ الحياة لا تنتهي مطلقاً خارج الجسم لكن ظروف هذه الحياة تكشف أيضاً عن مكابدات عديدة ». وبعد أربعين سنة من التجارب التي تعرفت فيها على الأنماط المختلفة من الحياة خارج العالم الفيزيائي، تؤكّد جانيت على حقيقة بأنّ حياتها يمكن أن تتواجد خارجه.

لا ترغب القيام بتجربة الموت: « قمت بتجربة ترك جسدي لعدة مرات. وشعرت أنّني خارجه وقريبة منه وأراه من بعيد، أو أذهب بعيداً وأعود للاتّحاد به دون توقّف في الوعي »[1].

ليس المقصود مجرّد رعب، بل ذهول أو خروج أو... ففي

(١) انظر كتابها « الممر الكبير Le grand passage » ص ١٦ و ٢١.

هذه الحالة تشعر جانيت أنّ قدرة الانتباه الواعي التي تتيح لها الانفصال عن جسمها الذي تكتسب منه نظاماًحسّياً يسمح لها بالنظر والسمع والحسّ بمستوى أشدّ وأقوى، وأعلى من مستوى الإحساسات التي تحصل عامة. تشعر كأنّها مغمورة في حياة ذات بعد واسع. تحسّ كأنّها متحرّرة من الضغوط التي تلزم السلوك العادي، فهي إذاً أكثر تحرّراً.

بالفعل إنّ جانيت جوسنه تحيا حالة جديدة للكائن، مُؤكّدة بذلك أنّ الإنسان يستطيع أن يعيش على عدة مستويات رغم أن عدداً ضئيلاً بيننا قد يكون عنده الإمكانية في تحقيق هذه التجربة. أكّدت جانيت أنّها عاشت بكامل وعيها خارج جسمها. ليس المهم بنظرها ما رأته أو صادفته، أو الأشخاص الذين تكلّمت معهم في هذه الحالة غير العادية... كلّ ذلك هو تفاصيل ثانويّة بنظرها. المهمّ بالنسبة اليها أنّها استنتجت أنّ الحياة لا تتهدّم! هذا النوع من الحياة ضمن حياتها (مع انتصار كبير) هذه الحياة المصونة، هي الحياة في الكون. هذه الحياة الحاضرة حتماً في كل اللحظات، تعطي الحياة للأفكار والأحاسيس والحركات، هذه الحياة التي تغذي الأنا لحياتنا الصغيرة، والتي تجعلنا أن نكون.

٣ - ما هي المراحل الأساسيّة لعمليّة الخروج من الجسد؟

نستطيع اختصار هذه المراحل من عدة مراجع كما يلي:

١) يدرك الفرد إدراكاً تامّاً لحظة الانفصال، ويحتفظ بذكر

واضح ودقيق لكلّ مرحلة.

٢) يدرك جسمه الفيزيائي، وكأنّه بلا حياة، وكلّ إحساساته تتحوّل الى شخصه الثاني.

٣) في هذه الحالة الجديدة يشعر أنّه خفيف، سعيد وهادىء.

٤) إلاّ أنّ شعوراً من الخوف ينتابه لأنّه لا يعرف إذا كان باستطاعته التكامل من جديد مع جسمه.

٥) عدّة شواهد تؤكّد وجود نوع من الحبل يصل بين الجسمين: الفيزيائيّ وصورته (son double) ممّا يجعل الجسمين منفصلين.

٦) لا يبقى كلّ من الزمان والفراغ والمادة كما كان عليه في الحالة الطبيعيّة.

٧) كلّ رغبة تظهر في حالة الازدواجيّة تصبح فوراً حقيقية.

٨) يصبح التخاطر مع الجوار عادياً.

٩) أكّدت شواهد عديدة أنّ تنفيذ هذه الرحلة خارج الجسم برفقة بعض العناصر المتوفّاة في العائلة ممكناً.

٤ ـ الكثافات المتنوّعة للمادة

بهذا «الجسم» المختلف، الحاذق، والمخفّف من المادة إلاّ أنّه يحتوي على شيء منها (وإلاّ كيف تؤكّد وجوده؟). قامت جانيت بتجارب عديدة امتدّت على مدى أربعين سنة تقريباً،

كـان إعجابها الأول عندما وجدت أنّ للمادة كثافة، أي ثقل نوعي يختلف عن الأوضاع الاعتياديّة. قـامـت بهـذه التجـربـة، وضعت على طرف الكومود في غرفة نومها ورقتين من ورق لف السجائر كي تعمل على هبوطها الى الأرض عندما تكون بوضع خارج جسمها. وفي الليل، عندما خرجت من جسمها، لم تقدر على لمس هاتين الورقتين لكن كان كافياً لها أن تفكر بأنّها يجب أن تضع الورقتين على الأرض كي يحدث ذلك فعلاً.

وكذلك استطاعـت اجتيـاز البـاب دون استخـدام المفتـاح، وكانت هذه التجربة بمثابة الكاشف لها: في حالة الخروج من الجسم، ليس للمادة الحقائق نفسها التي هـي فـي الحيـاة العـاديـة «إذا كان باستطاعتي أن أعبِّر هكذا: هناك عدّة حالات لماديّة المادة». ومع ذلك فإنّ جانيت لا تشكّ بوجود ماديّة مختلفة لهذا الجسم المزدوج، كما تشكّ بتغيير ماديّة الأجسام التي يراها أو يلاقيها في هذه الحالة الغريبة. لا أحد يشكّ في حقيقة وجود المفروشات والبيت والمدينة وغيرهما من السكان: وضمن هذه الأبعاد المختلفة للحياة، تقول جانيـت جـوسنـه: إنّ للإحسـاس بالشعور بالحقيقة هو أمر خارق، غير عاديّ، وأكثر شدّة ممّا شعرنا به في كثير من مجالات الحيـاة.

كما أنّ تجربة رؤية زوجها في السجن عندما كان أسيراً في ألمانيا عام ١٩٤٠، تؤكدّ لها أنّ الشكل المزدوج الذي اتّخذته ليس له الماديّة نفسها للشكل الإنسانيّ العاديّ. إنّها لا ترى وجودها، فتحاول تأكيده عدّة مرّات بازدواجيتها مع كثير من

الصعوبة، وذلك لأنّ الانفصال يعكّر صفْوَ قدرتها على الانفعال، ولأنه يجب ألاّ تدخل على خطّ عمليّة الانفعال هذه...
« صباح أحد الأيّام بين الساعة الخامسة والخامسة والنصف صباحاً رأيته، بدا لي متكئاً على جذع شجرة برفقة رجل آخر، عرفت بعد ذلك من كان هذا الرفيق الذي كنت أجهل سبب أسره. تفّحصت وجهه جيّداً، كان تأثّره واضحاً. كان هنا حياً أمامي. نظرت الى عينيه بشدّة، لمسته لكنّه لم يرني مطلقاً ».

في هذه الحالة المذهلة للجسم، يمكننا ملاقاة أشخاص أحياء كما يمكننا ملاقاة أشخاص قد ماتوا.

لكن لتحقيق مثل هذا اللقاء، يبدو أن هناك خطوات إراديّة توصل بصعوبة أو لا توصل مطلقاً، يبدو أنّ مثل هذه اللقاءات تحدث بطريقة غير متوقّعة.

تخبرنا جانيت في كتابها « وعي الوجود La conscience d'être عن حالة انطلاق خارج الجسم وقعت سنة ١٩١٦ لامرأة، وقد أخبرتها عنها لاحقاً، وسأسردها هنا نظراً لأنّها تلتقي مع موضوعنا. بعد أن تركت جسمها على السرير كجثّة، واخترقت الأبواب والجدران وتاهت كثيراً وصل جسمها الثاني الى معركة ڤردان Verdun « حينئذ روت الامرأة: رأيت أبي الذي كان يتكلّم بعنف لكنّني لم أسمعه. حاولت أن أتقدّم وأعانقه، لكن كلّ مجهودي ذهب سدىً لأنه لم يشعر بشيء، حتى بوجودي حينئذٍ فكّرت في نفسي: أنظر ماذا يحدث عند الموت، يرى الميت الأحياء ويريد مساعدتهم لكنّه غير قادر على إظهار ذلك ».

وفي حالة الخروج من الجسد ولمـرّة واحـدة التقـت جـانيـت والدها الميت منذ عشرة أشهر: «كان ذلك فجأة، عندما كنت أتنقل في جوّ غير اعتياديّ مضيء، رأيته أمامي، كان يبدو كفتى عمره أقلّ من أربعين سنة، لم يكن عندي ذكريات عنه في هذا العمر. أمسكني بيدي قائلاً: لا أستطيع البقاء هنا سأذهب، فاختفـى وجهه وبقيت يداه تمسك بشدّة يَدَيّ لبعض اللحظات. تأكّدتْ أنّ ذلك لم يكن حلماً لأنّها كانت تحلم أحياناً بوالديها الميتين ولا يجوز أن نخلط بين الوضعين.

٥ ـ الفكرة تخلق الحقيقة

تأكّدت جانيت أنّ الفكرة تصبح فوراً خلاّقة في هذا الوضع الحاذق. يكفي أن تجتاز الفكرة الفكر في هذا الظرف كي يصبح موضوعها متجسّداً في اللحظة نفسها. في هذه الحالـة إذا فكـرنـا بالهرّ نرى الهرّ حاضراً أمامنا... وإذا فكرنا بأسـدٍ يـزأر أو غـول مخيف نراه حالاً... تصوّر أيّة مخاوف يمكن أن تظهر! أقلّ فكرة تتجسّد فوراً.

«كنت خارج جسمي، تقول جانيت، وكنت أتنزّه في مدينة مجهولة، انقضَّ عليّ كلبان ضخمان مع نباح مخيف. انتابتني فكرة خاطفة: أنا كنت أفكّر بهما، وليس لهما وجود. فوراً اختفت الكلاب».

إن الحقيقة الملموسة لهذه الأمـور التـي نصـادفهـا فـي هـذه الحالة هي أكيدة بالنسبة للذي يشعر بها. يذكّرنـا ذلـك بـالملاّح

الكوني السوڤياتي « ڤيتالي سيڤاستونوڤ Vitali Sevastionov مهندس مسؤول في مركز التجارب العلمية والتقنية في سيوز ٩ (Soyouz): في حالة فقدان الجاذبية في الكبسولة، كان يكفي بأن يفكر في الحصول على آلة حتى يرى رفيقه أدريان نيقولايف الموجود بقربه يحضرها له فوراً دون تبادل أي كلام. أتخاطر هذا أم فكرة خلاّقة؟

اكنشاف آخر مهمّ لجانيت جوسنه: في هذه الحالة خارج الجسم، يكون الزمان والمكان مختلفين عنهما في الحياة الطبيعية، فينتقل هذا الجسم الحاذق بسرعات خيالية لأنّه يتحرك في مادية أخرى أقلّ كثافة وأكثر طراوة ومرونة.

يجب أن نتذكر نقطة أخرى مهمّة خلال هذه الرحلات: أهميّة النور والألوان. تعتقد جانيت جوسنه أنّ إحساسات الفرح والسلام التي تشعر بها، وكذلك إحساسات الألم والخوف ترتبط مباشرة بدرجة النور التي تتنقل فيه ونوعيته. تبدو الألوان مختلفة عن الألوان الطبيعيّة، فهي مثيرة ومنعشة توقظ شعوراً قويّاً من الجمال. كما أنّ جوّ المشاهد التي تمرّ عليها خلال رحلتها ترتبط مباشرة بالمزاج النفسي. تختصر جانيت جوسنه التجارب التي قامت بها في الحياة على مستويات متعدّدة هي:

- أستطيع العيش آليّاً، وهذا المستوى هو الأكثر انتشاراً.
- أستطيع العيش بوعي (أكثر أو أقلّ).

ـ أستطيع العيش واعية بأنّني واعية، وذلك في مناسبات نادرة.

« تتواجد الحياة على عدّة مستويات... هذه المستويات ليست متكاملة بالحقيقة. أكون داخل رأيي وأتكلّم، لكنّني لا أشعر إذا انتابني انفعال يشلّني ويمنع رأسي من التفكير. أو أكون في جسدي، في ميكانيزماتي المحرّكة وغرائزي، أفكّر حينئذ آليّاً، وأحسّ آليّاً وأتعرّف آليّاً. لكن هذه المستويات الثلاثة للكائن، هذه التردّدات الصوتيّة الثلاثة التي نستطيع أن نقول عنها إنّها منبعثة من محفظة الجلد هذه التي تحتوي جسدي وليس ذلك من حياتك أو حياتي، إنّما هي الحياة في حياتي ».

إذا كان بإمكاننا أن نحياها هنا حتى بشكل آنيّ ونادر جداً وعلى مستويات متعدّدة، ونتعرّف الى حالات مختلفة من الوعي، هل يمكننا أن نفكّر بعد الموت؟ أنّ هذا الغلاف الفيزيائي الذي هو الجسد، هل يبقى منه جزئيّة من الوعي أو الطاقة يكون باستطاعتها الاستمرار في الحياة والتطوّر؟

هذا الجسد الحاذق الذي تتكلّم عنه جانيت، هل يبقى هو نفسه حيّاً بعدنا؟ إذا كان الجواب « نعم » لهذا السؤال، ويبقى مُسَلَّمة، هل يستحقّ بذل هذا الجهد هنا لتنمية هذا الجسد الذي سيتمركز حتماً في الأبديّة؟ كيف؟

يمكننا أن نصبح باعثين لجسدنا في الأبديّة؟ هل يمكننا القبول منذ الآن بهذه الحالة الجديدة من الوعي بتحوّل أساسيّ

لأنظمتنا البيولوجيّة والنفسيّة والعقليّة؟ نعم بدون أيّ شكّ، إذا استطعنا تنمية ما يسمى فعلاً «الحاسة السابعة» أي الحسّ بالوجود.

اولئك الذين ينتظرون حياة في العالم الثاني، هل بإمكانهم التحضير لهذه الحياة؟

فيما يخصّ هذه النقطة، جانيت جوسنه أكيدة منها: إذا أردنا بلوغ بُعد أبديّ، هذا لا يمكن أن يكون إلاّ قبل الموت، هنا في جسدنا وفي نفسيتنا وكأنّه يوجد سلسلة منطقيّة لنوع من النماء الداخلي. «من حدس الى حدس ومن تجربة الى تجربة ومن نور الى نور، توصّلت الى اليقين. في هذا الجسد يجب أن يتمّ بذل جهد معيّن بغية تأمين جسر من الإدراك الحسّي يمتد فوق الهوّة التي تفصل بين العالمين: العالم الفيزيائي لحياتنا الشخصيّة الزمنية وعالم الحياة الشاملة التي يشارك فيها كياننا الخالد، هذا الجسر هو وعي الوجود هنا الآن».

لكن كيف نعمل لبلوغ هذا الوعي بالوجود؟ في كتابها الذي يحمل فعلاً هذا العنوان «وعي الوجود هنا وللآن»، لا تعطي جانيت جوسنيه «وصفاً له» لكنها تنصح بالسلوك التالي:

المرحلة الأولى: الدخول في الذات، «الدخول وراء الجبهة، وراء الجمجمة ووراء النظر، والدخول في الانحناء الطري للوجنتين، في اللسان واللثّة وسقف الحلق، داخل البلعوم والمنخرين... يجب أن يدخل انتباهنا الواعي، ومن ثم نملأ هذا

الفراغ المكوّم والمربك وتنظيفه من حثالاته اللفظيّة، تاركين رأسنا واضحاً وحرّاً ككرة شفافة».

المرحلة الثانية: نترك هدوءاً داخليّاً كبيراً يسيطر علينا، نسترخي ونفتح...

نبقى بلا كلام، بلا حراك ومنتبهين بشدّة وكلّ وضوح الى لا شيء. نكوّن الفراغ الحي المتأرجح، وندخل هذا التأثير الى أعيننا، وكل ما يتنفّس فينا، نصبح هنا في جسمنا الواعي متيقّظين الى كل مستويات الإحساس: الإحساس الذهني والإحساس الانفعالي، والإحساس الفيزيائي».

أخيراً نكتشف جزيرة السلام وميناء الطمأنينة: إنّه فراغنا الداخلي «ضجيج العالم يكون حولنا لكنّه يدخل فينا دون إحداث ردود انفعاليّة أو غرائزيّة. لا تهتز آلتنا الدماغيّة مطلقاً، تتتابع الصور فلا نطردها لكنّنا لا نتطابق معها بتسميتها...».

حينئذ نستطيع معرفة «أن تكون». هذا لا يعني أن تكون هذا أو ذاك. بل أن تكون بكلّ بساطة. «لسنا سوى شيء واحد قدرتنا على الانتباه». ففي أغلب الأحيان، تعطينا هذه الصدمات العنيفة هذا الإحساس الشديد بأن تكون، وأن نحسّ بالأمراض والحوادث مثلاً...

مرّة أخرى أيضاً، بالنسبة لجانيت جوسنيه، لا ينبغي أن نعطي وصفاً لكيفيّة التوصّل الى الحياة خارج الجسم، بل ينبغي أن نتعلّم كيف يجب ألاّ ننزلق سطحيّاً في الحياة، كما ينبغي أن نجتذبها

من الداخل. إنّه تزهّد فكريّ حقيقيّ «إنّه استعداد للبقاء بقوّة جليّة لكلّ ما هو معاش في اللحظة...» يتطلب ذلك جهداً ومن خلاله يمكننا أن نتكلّم عن التزهّد الفكريّ، وعن بذل الجهد لأن نكون. أن نكون في أفكارنا وفي أقوالنا وفي أحاسيسنا وفي حركاتنا. كما تقول جانيت بدقّة: الخروج من الجسم ليس خروجاً من الذات.

إذا أردت أن أعرف إذا كان هناك استمرارية للحياة خارج الجسم، عليَّ بادىء ذي بدء أن أعي الحياة في الجسم». تستدعي الضرورة فهم ميكانيزمات وظائفنا الشخصيّة... وتحقيق وضوح تام لكلّ «الأنا» المتباينة التي تكوّن شخصيتنا. بذلك يمكننا الاستنتاج بأنّ مرحلة فاصلة قد تمت في معرفة الحياة ما بعد الحياة...

٦ ـ التجسّد المستمرّ في الحياة

حسب رأي جانيت تتواجد الحياة خارج أجسامنا الفيزيائيّة، فالحياة لا تتوقّف مطلقاً، فقط تولد الأشكال التي تحتويها وتموت. لكن مادة هذه الأشكال لا تقوّض، بل تتحوّل فقط. الحياة بزوغ أبدي تتلف الأشكال التي بنتها لإعادة بنائها بأشكال جديدة.

ليس هناك عالم آخر، بل هناك أسلوب آخر للوجود. ليس هناك عالم آخر سحريّ ينبغي اكتشافه في كون بعيد، بل هو

امتداد لما نحن فيه. فالاكتشاف الوحيد الموثوق فيه يكمن في تجاوز سريرتنا الخاصة.

في حين أنّ أجساماً تتطوّق (تتحوّل الى طاقة) بتحليلها، وتنهار بنيات كنّا نعرفها في الفراغ اللاّنهـائيّ، تتطوّق مواد أخرى وبنيات أخرى، تنشأ من جديد. كما يتبع الليل النهار تتبع قوى الموت قوى الحياة: شهيق، زفير.

تقول جانيت: «أعتقد بالتجسيد المستمرّ للحياة في أجسام تتجدّد. كلّ ما هو موجود يبقى موجوداً ضمن بعد يمكننا أن نسمّيه «الأبديّة». في حياتي كلّ شيء ممكن الحصول. كل شيء يمكن أن يهاجمني ويقضي عليّ. لكن الحياة ضمن حياتي منيعة سابقة للأنا، وهي تبقى حين أختفي».

إذاً، جانيت لا تؤمن بحياة في الآخـرة بشكـل فـرديّ. وقـد كتبت في مكان آخر: «سـأرحـل فـي يـوم مـن الأيـام. تـرك الكثيرون من الذين عرفتهم وأحببتهم هذا العالم، وآخرون جاؤوا اليه جدداً وغير معروفين... لكن سأصبح أنا في أثيره النهائي، هذه الجزئية التافهة من المادة المسفوفة بالحبّ تبقى وتستمرّ الى الأبد... اختلاج لا يُقهر للحياة الراتعة في النور غير المنبعث من الفكر».

إنّ النقطة الأساسيّة لدليل جانيت جوسنيه التي تعتمد فرضية الحياة الآخرة، يمكن أن تحصل، في النهاية، عند فكّ الارتباط مع الجسم الفيزيائي، التأكيد والشعور الحقيقي بالحياة. يتمتع

الجسم بمادية أخرى تختلف كثيراً عن مادّية الغلاف الفيزيائي.

٧ - الوعي والطاقة

إنّ تجربة كريستين هاردي من شأنها إيضاح هذا اليقين إذْ تؤكّد أنّ مختلف مستويات وجودنا باستطاعتها ممارسة حياة تلقائية، بانفصالها عن جسمها الفيزيائي لتصبح في جلد كيانها الكامل: «يترك الجسم الكوكبي الجسم الفيزيائي كي يتنقل بشكل تلقائيّ على ركزة مادّية معيّنة. فيخرج من الحدث ببعض القرقعات مثل السير عبر الأبواب والمرور عبر الجدران... المقصود إذاً، جوهر مغلق بمادّة معيّنة دقيقة (أمواج وجزئيّات مجمعة) مادّة كما هي تخضع لبعض القوانين في الطاقة وتتناغم مع مسجّل اهتزازيّ يختلف عن المادّة الفيزيائيّة، لكنّها تحقّق وجود كتلة معيّنة».

إنّ مادّية جسمنا خارج الجسم، تتكوّن بدون شكّ انطلاقاً من شكل من أشكال الطاقة أحد قوانين الكون الكبيرة هو قانون المحافظة على الطاقة.

إنّ مفاهيم الشيڤايسم «Shevaîsme» تستطيع أن تنير سبيلنا عن هذه العلاقات بين الطاقة والوعي. حسب (Le Sâmkhya = (دراسة بنيات الكون المادّية والنفسيّة)، يتكوّن الكون من عنصرين أساسيّين: الوعي والطاقة التي تتمّم بعضها البعض وتتداخل. ليست المادة سوى طاقة منظّمة. لا يوجد عنصر مادّة دون أن يكون ضمن الوعي. ولا يوجد عنصر وعي دون دعامة من

الطاقة». فالطاقة التي تظهر تحت شكل أمواج اهتزازيّة، هي بحاجة الى دعامة: الفراغ والزمن، بالنسبة اليه يولد من الوعي لأنّه لا يوجد زمن مَقِيس دون إدراك حسّي لديمومته.

هكذا نرى أنّ تهيئة العالم المدرك مرتبط بمبدأ الزمن الكلّيّ، فالوجود هو الذي يجدّد شكل أنظمة دورات التاريخ والحياة والموت للنجوم كما يحدّد ذلك للمجرات وللأنواع الحيوانيّة والنباتيّة، وكذلك للإنسان وأيضاً للأرواح والآلهة.

إنّ القوانين التي تسيّر الإدراك الحسيّ والذكاء والفكر ليست منفصلة عن تلك التي تشرف على تكوين المادة. كل ما تدركه كأشياء ليس مكوّناً من مجرّات من الذرات، ومن مراكز طاقة يفصل بينها فراغات عظيمة. يعود ظهور الأشياء الى حدود إدراكاتنا» إذاً، المادّة لا تنفصل عن الوعي والإدراك.

تدخل جانيت حالتها المميّزة بواسطة الطاقة. فتصبح هذه الطاقة وكأنّها المركب الصافي لهذا الجسم الثاني. ليس مركباً من أعضاء ولا من خلايا ولا دم ولا خلايا عصبيّة. إنّه «عبر المادة Transmatériel».

من خلال هذه الحالة هل من الممكن إيجاد مادّة في جسمنا أو خارجه في الكون يمكن تسميتها عبر ماديّة؟

يبدو هنا أنّ الجواب هو نعم.

لنأخذ مثلاً: ماذا يحدث بين العين والدماغ؟ تتلقّى العين تعليمات معينة، لنقل مثلاً رسم كرة. هذا حافز كما يقول

الاختصاصيّون، أي بالتعابير الفيزيائيّة، طاقة نور. هذه الطاقة بعد أن تجتاز الهواء وتجويفات العين تصل الى الشبكة محدثة تأثيرات كيميائيّة. تقوم الخلايا بتحويل هذه التعليمة المرموزة الكيميائيّة الى سلسلة رسائل مرموزة كهربائيّة، فتنتقل بواسطة العصب البصري وبواسطة عدة بنيات نوعيّة الى قشرة الدماغ التي تتنبه عند مرور النيترونات.

تصطحب هذه الطاقة ركائز مهمة هي بلا شكّ ماديّة (الأعصاب، الأعضاء، تركيبات العين... الخ). هذه الطاقة التي كانت في الأساس ضوئيّة تحوّلت الى أوكسيجين...) وحتى الى حرارة. إنّما هناك رسالة لم يطرأ عليها أي تغيير هي صورة الكرة. هذه التعليمة يمكن اعتبارها كجوهر عبر المادّة Transmatéricl موجود على صلة بالركائز الماديّة التي تتذكرها، لكن بدون ارتباط بها. للتعليمة وجود خاصّ، ومع ذلك فهي لا تملك خصائص ماديّة بالمعنى الفيزيائيّ أو العلميّ للكلمة كالكتلة والطاقة.

يدلّ هذا المثل على أنّ الحقيقة ليست دائماً ماديّة، وعلى أنّها ليست دائمأ قابلة للمراقبة أو البرهان.

في اللقاء الذي عقده جون بارو John Barrow أستاذ الفيزياء في جامعة سوسكس في بريطانيا العظمى مع ماري أوديل مونشيكور من أجل France-culture، نقرأ بصورة خاصة: « حاليّاً، في بركلي وغيرها يحاول علماء الفيزياء والفلك التأكيد على أنّ

تركيب المجرّة هو بشكل أساسيّ من النيترونوس Nutrinos. عندئذٍ يمكن أن تصبح المجرّات خلاف ما تبدو: إنّها تظهر كأجسام مضادّة متوهّجة لكن في الحقيقة قد يكون أكثر أجزائها غير مرئيّة بشكل تامّ. يعتقد البعض أنّ المجرّات محاطة بهالات عظيمة من مادّة غير مرئيّة». يؤكّد بعض رجال العلم من ذوي الشهرة الكبيرة مثل النيروفيزيولوجي روبرت سپيري والفيزيائي الإنكليزي دافيد بوهم والبيولوجي ر. شلدراك R. Sheldrake، كلّهم يؤكدون أنّ هناك في الحقيقة مظاهر غير قابلة للقياس، غير فيزيائيّة وينبغي أخذها بعين الاعتبار، لأنّها من الخبرة الإنسانيّة، ليست فقط من خبرة حواسنا الفيزيائيّة، بل هي أيضاً من خبرة الحدس العميق، أو الخبرة الناتجة عن حالات مختلفة من الوعي. إنّها بالفعل نوع آخر من العلم». حسب تعبير ولليس و. هرمان التي استطاعت وحدها أن تدرس هذه الخبرات وهذه الحقيقة غير المَقيسة. من المؤكّد أن ما تسمّيه اليوغا «برانا» أي القوّة الحياتيّة التي تنظّم مجموعة الوظائف العضويّة وتبقيها في الحياة، وما يطلق عليه الصينيّون «الكي» في المعالجة بالإبر، هي حقائق غير ماديّة، لكنّها حقيقيّة.

إذا كان من الصعب نفي كون جسمنا يملك طاقة مزدوجة أي نظاماً ثانياً خفيّاً، يبقى أن نبرهن أيضاً أنه بإمكانه أن يحيا بعد تفكّك المادّة الجسديّة، وأن يبقى موجوداً بعد الموت الكلينيكي. يبقى السحر تاماً عند هذا المستوى.

إذا كان الجسم الثاني، هذا الجسم المُفْتَرض، هذا الجسم ذو

الطاقة الخالصة، لا يمكن رؤيته أو برهنة وجوده علميّاً، لا يبقى أقل من أنّه بإمكاننا علميّاً أيضاً أن نحقّق هذا الوجود. لكن هذا الجسم إذا كان مصنوعاً من الطاقة يمكنه جيّداً أن يتحوّل دون الاحتفاظ بهذا الشكل بالذات.

٨ - جريمة الذاتيّة

يمكننا أن نعترض على هذه الماديّة التي شعرت بها جانيت جوسنيه من فترات خروجها من جسمها، بأنّها غير موجودة بالحقيقة، أجل إنّ ذلك اختراع من دماغها أو من مخيّلتها.

فقد قالت جانيت ذلك بنفسها. بقيت عشر سنوات لتفهم بأنّها هي فاعلة كلّ ما كانت تشاهده في رحلاتها وما كانت تشعر به في محيطها مع تأكيدها على الحقيقة. لكن، خارج فكرها الخاص، لا وجود حقيقي لهذه الأشياء، بالمقابل كان لهذه الأشياء وجود نسبي لأنّها كانت مصدر فرح وسلام وخوف وضيق.

هذا العمل المستمرّ في مراقبة الذات أتاح لها التأكّد من أنّ الصورْ قد خلقت انطلاقاً من إحساسات ندركها. «بالنسبة لي الاكتشاف الأكثر استغراباً والذي وجدته خارج جسمي هو أن كلّ ما باستطاعتي أن أراه في هذه الحالة يصدر عنّي. بصدق أكثر أعتقد أنّني أكون مركزاً لكلّ ما أتأكّد منه كموجود، فأكون ما أستطيع تسمية «الكلية» La totalité أكون ما أعرف. هكذا، في حال اعتبرنا جانيت تصدر أفكاراً ومواقف عن ذاتيتها

تعتبرها تتلبّس الجريمة الذاتيّة، ويمكننا أن ننال منها، لكن لا وجود لأشياء إلاّ ممّا ينتجه دماغنا وعندما يموت الدماغ لا شيء يصمد أو يبقى!...

في تعبير الطبّ العقليّ والنفسيّ يطلق على الهلوسة الذاتيّة بأنّها «إدراك وهميّ سيكولوجي معقّد بوحي بأنّ الجسم قد انقذف نحو مجال بصريّ خارجيّ».

هل يمكننا تطبيق هذا التعريف على تجربة جانيت جوسنيه؟ كلاّ، لأنّ المريض الذي يعاني الهلوسة الذاتيّة يرى شخصه الثاني انطلاقاً من جسمه الخاص. في حين أنّ جانيت (التي لا تشكو حتماً أيّ اضطراب نفسانيّ) ترى جسمها الخاص انطلاقاً من طاقة واعية موجودة خارج جسمها. إنّه العكس، لأنّ مجال الوعي قد تبدّل: فهو ليس موجود في الجسم الفيزيائي في الجسم الآخر الأكثر نفاذاً. إنّ الدكتور نيلز و. جاكبسون طبيب الأمراض العقليّة السويديّ الذي بحث بصورة خاصة في التجارب غير الاعتياديّة التي وصفها في كتابه «الحياة بعد الموت» تجارب پاراسيكولوجية وسحريّة وتساءل حول هذه الظاهرة التي تميز الجسم من الوعي، فقال: «إن تجربة التفاضل أو الحلم الجليّ ليست ظاهرة مرضيّة. تحدث هذه الظاهرة عادة عند الأشخاص المتوازنين نفسيّاً».

قام الباحثان نويز Noyes وكلتي Kletti سنة ١٩٧٦ بدراسة الحياة الأخيرة من زاوية طبّ الأمراض العقليّة التقليديّة فأطلقا

اسم « إزالة الذاتية » Depersonnaliration على عملية رؤية الأموات. وأسّسا ما يعرف تناذراً (تزامن أعراض مرض مع الأمـراض) لإزالة الذاتيّة! وعي الذات المضطربة، شعور بالوهميّة، تباطؤ الزمن، فعل الفراغ... الخ. يكفي كلّ ذلك ليفسِّر التأكيد المفترض لوجود حيـاة في الآخـرة... بـالنسبـة لهـؤلاء البحـاثـة، وأمـام المـوت الذي هو فناء الجسد ينمّي المحتضر ميكانيزمات دفاع. خيالات الماضي هي دفاع انفعـالـي ضـد فكـرة الاختفـاء: تظهـر عنـد المحتضر آخر طاقة حياتيّة على الشيء الذي كان يراه أكثر ثمناً، بعد أن يحرم من مستقبله».

طبيب عقليّ آخر ر. هنتر R. Hunter لاحظ من جهته أنّ ذكريات السينما هذه على ارتباط بتجارب غير محبّبة، خاصة عندما يكون خطر الموت حاداً (الهبوط في الهواء أو الغرق).

نشير أيضاً الى أنّ الهلوسة الذاتيّة بالمعنى الحقيقيّ للكلمة ليس مرضيّاً بحدّ ذاته، لأنّها تكمن في رؤية أعضاء داخليّة مثل عظام الجسم بدون استخدام أية آلة. فتواجد هذه الظاهرة بكثرة جماعات « الشمان chamans » = (عبادة الطبيعة والقوى الخفيّة)، الذين بإمكانهم رؤية التركيبات العضويّة حتى مستوى الخلايا وكريات الدم ووظيفة الأنسجة وتمييز الاضطرابات فيها وتشخيص الأمراض.

يذكر الدكتور أوستي Osty حالة فلاّحة غير متعلمة بإمكانها رؤية مفصلها الوركي ـ الفخذي ووصفه. كما وصفت مريضة عند

الدكتور (صوليه Solié) أيضاً أوعيتها الدمويّة وقلبها وأمعاءها وكل جسمها بما فيه الدماغ. إذا يمكن استخدام الهلوسة الذاتيّة كأداة للشفاء.

٩ ـ الجسم النجمي Le corps Astral

يجب أن نلاحظ أنّ جانيت جوسنيه لا تستخدم تعبير «الجسم النجمي»، لكن بلا ريب سوف نقوم بنوع من المقارنة. هذا الفصل بين الجسم الفيزيائي والوعي بـ «إسقاط غالباً ما يسمى تحويريّ نجميّ». مما يؤكدّ وجود مستويات أخرى خارج المستوى الفيزيائي، حيث تكون المادة من غير طبيعتها المعروفة. يمكن رؤية الجسم الفيزيائي. في حين أنّ الأجسام الأخرى التي تسمّى أجساماً فكريّة أو نجميّة أو أثيريّة ليست مرئيّة.

حينئذ يصبح الموت انفصالاً نهائياً عن الجسم الفيزيائي والجسم النجمي. بقدر ما يتمّ التدريب على فصل هذه الأجسام المختلفة، كما يحدث مع الرياضي في تدريب عضلاته، بقدر ما يصبح الموت أسهل، ويصبح مجرّد انتقال يتم التعوَّد عليه. فينتقل من الحيّ الى الجسم الآخر، حينئذٍ يرى وجوده طبيعياً في عالم آخر.

اللفظ أسهل بكثير من المرور بالتجربة.

توضح إيلان بلاڤاتسكي Helène Blavatsky (نظرية إشراقيّة دينيّة موضوعها الاتّحاد بالرب)، المبادىء التي تكوّن الإنسان:

«إذا كان الإنسان يعرف بالسباعي، فلا نتصورنّ أنّه مركب

من سبعة كيانات أو بقدر الجلود التي يمكن رفعها مثل قشور البصل. فالمبادىء هذه كلّها مظاهر وحالات من الوعي. لا يوجد إلاّ إنسان حقيقيّ يستمرّ من طرف الى آخر في دورة الحياة وهو خالد أو على الأقل في شكله: وهذا ماناس Manas الرجل الذهني أو الوعي المجسّد. إنّ الرفض القائم عند الماديين الذين ينفون إمكانيّة العمل الذهنيّ والضميريّ بدون المادة، هذا الرفض ليس له قيمة بنظرنا. نحن لا ننفي صدق حجتهم، لكنّنا نسأل بكلّ بساطة مخاصمينا (أي الماديّين): «هل تعرفون كل حالات المادة، أنتم الذين لا تعرفون حتى الآن إلاّ ثلاث حالات؟». إنّ الملاحظة التي وردت على شكل سؤال عند مدام بلاڤاستكي تحافظ اليوم أيضاً على ملاءمتها وفاعليتها، فالعلم اليوم يقوم بوضع اكتشافات أكيدة وصريحة عن حالات المادة وستظهر في السنوات القريبة الآتية.

لنعد الى الازدواجيّة في حالة فصل الجسمين. حاول الكاتب ريمون ريان R. Réant الذي انكبّ على تجارب عديدة ودرَّس مادّة الپاراسيكولوجيا، حاول معرفة وزن هذا الجسم الثاني. خلال إعطائه محاضرة في الجامعة يوم السبت في ١٦ نيسان ١٩٨٣ الساعة الثانية والنصف بعد الظهر، انكب على اختيار وزن الجسم البيوپلاسمي الذي يقال عنه «المقلّص». يقصد بالجسم المقلّص الثنائيّ الجسم النجميّ والفكريّ. يؤكّد الاستنتاج، أنّه بحالة الموت عندما يترك الجسم الثاني لفرد ما الجسم الفيزيائي (دون ذكره، أفترض هنا أنّه يشير الى تجارب ڤانزلست في هولندا(Van

Zelst) وإلى تجارب الدكتور دونكان مكدوجيل، في انكلترا، وفي مطلع هذا القرن، أشارت التجارب الى أنّه على ٩٢ محتضر حدث نقص في الوزن حوالى ٢١ غراماً لكلّ منهم)، تكون الخسارة في الوزن حوالي ٢٠ غراماً تقريباً لشخص يزن ٦٠ كلغ، هل أنّ الجسم الثاني يزن ٢٠ غراماً؟ من الصعب التحقق من ذلك لأنّ الجسم الثاني لا يقبل الوقوف في كفّة الميزان... لكن ريمون ريان يؤكد بأنّ هذا الجسم الثاني يجب أن يشغل حجماً معيّناً. اتّخذ لذلك ميزاناً دقيقاً وحسّاساً يزن حتى ١٠٠ ميكروغرام. جلس أربعة طلاّب من طلاّب اريان على كفة الميزان، وكان هؤلاء الطلاب في حالة الجسم الثاني، فكان الوزن للأربعة ٥٠٠ ميكروغرام، وكانت التجربة قابلة للإعادة. بقيت إحدى الطالبات ملصقة بالميزان بذراعها وهي في حالة الجسم المزدوج...

هكذا يكون وزن الجسم المزدوج حوالى ١٢٥ ميكروغرام. حاول ريان أيضاً التجربة بقارورة معيّرة وملآنة بالماء فحصل على النتيجة نفسها.

لا يجوز استبعاد المحاولات التي تسعى لفهم الحياة بعد الحياة. مع ذلك يجب التأكد من صحّتها، وذلك بطريقة دقيقة كما يجب مضاعفتها. بعد ذلك، يقال إنّ أنوبيس Anubis، في مصر القديمة كان يزن النفوس...! ففي المشهد المشهور الممثّل على أوراق بردى لهنوفر Hunefer (حوالى العام ١٣٧٠ ق.م تقريباً) نرى على إحدى الكفات قلب الموت مقرّ الإرادة الجليّة،

والضمير الأخلاقي، وعلى الكفة الأخرى ريشة الحقيقة وريشة المآت Maât : وزن رمز كلّ ما هو عادل، صحيح وشرعي. أعلن توت Thot برأس إيبيس Ibis وهو يلتفت نحو أوزيريس، إله الأموات: «قد تمَّ وزنه بالميزان، قليله صادق، فهو لا يزن أكثر من ريشة».

١٠ - الجسم وبديله الثاني الفعّال

إنّ رؤية البديل للشخص هي ظاهرة ذاتيّة للبصيرة: ذلك كان رأي اكتشفه الدكتور ميلان ريزل، وهو تشيكي لاجىء الى كندا، وقال بِـ «البصيرة في حركة» ودرس فن قرب الظواهر الباراسيكولوجية. عرف ميلان ريزل Rizl في فرنسا عام ١٩٧٦ من خلال كتاب بعنوان: «يسوع هل هو ظاهرة پاراسيكولوجية؟» (منشورات كيوبيك Quebec). بالنسبة اليه كل من قال إنّه انشطر الى اثنين هو ضحية نزوة، أو إيحاءات قد فُرضت عليه، مثلاً في التنويم المغناطيسيّ تظهر بعض مواهب البصيرة. إنّ ازدواجيّة الجسم هذه لا يمكن اعتبارها حقيقة، لكن هذا الموضوع بعد بحثه وجمع الحقائق حوله برهن أنّه يمتلك فعلاً قدرات واضحة (خارجة عن الإحساس).

يمكن دراسة المهاجرين خارج جسمهم بواسطة آلة تعرف باسم الكترو - انسفالوغراف Electro-encephalographe، وهنا تكمن نقطة الانطلاق لأبحاث الدكتور شارل تارت Chales Tarte السيكولوجي

في جامعة كاليفورنيا في دايفز. درس بشكل خاص رجل الأعمال روبيرت مونرو R. Monrôe حيث أصبح سرده في « Journeys out of the body » « أيام خارج الجسم »، سنة ١٩٧١ أكثر القراءات رواجاً. أكّد مونرو الخروج من الجسم حسب الإرادة، وقد دلّل الالكترو انسفالوغراف أنّ الشخص ليس في حالة حلم، كما أنّه ليس في حالة وعي تام، في حين بقي دماغه يقذف موجـات ألفـا البطيئـة وعضلاته كانت في حالة ضعف، إنّه في حالة قريبة من حالة التأمّل. تناول الدكتور تارت Tart تجارب أخرى من النوع نفسه مع عميل آخر مؤنث قد نجح في قراءة أرقام موضوعة صدفة على رف مقفل عليه في غرفة مجاورة. لكن هذه التجارب لم تنجح حتى الآن على البرهان بكلّ تأكيد ان ذلك ظاهرة انتقال من الجسم النجمي، أم هو ظاهرة تخاطر. يجب أن تعرف أنّ كلّ هذه الظواهر بينها قرابة ضيقة ».

تناول الدكتور كارليوس أوزيس مدير الأبحاث في مركز الأبحاث النفسيّة للمجتمع الأميركي في نيويورك، بعض التجارب ليثبت ما إذا كـان الوعـي يتـرك فعلاً الجسـم، وذلـك مـع فـرد موهوب بشكل خاص، Ingo Swann. بعد تخدير جرى له أكّد انجو Ingo أنّ باستطاعته فصل شخصيته الى اثنين، وذلك حسب إرادته، كما بدأ يقوم بنزهات خارج جسمه في أيّ وقت كان، أو أيّ زمان. كان هدف تجارب أوزيس بواسطة انجو وصف الأشياء المخبأة في غرفة بطريقة دقيقة للغاية وإعطاء أبعادها. إن أوصاف الأشياء من بعيد بالبصيرة نادراً ما تكون دقيقة (رغم أنّ

تجارب تارت Tart الحديثة تخالف وجهة النظر هذه). إنها تأثيرات غامضة. اعتقد أوزيس أنّه برهن، إذا كانت الأوصاف صحيحة فيما يعود للمكان والشكل والمنظر... الخ، إنَّه الشخص الآخر لأنجو Ingo الذي نجح في التوصّل الى هذه المعلومات. وقد حسبت إمكانية احتمال وقوع ذلك بصدق فكان ١/٤٠٠٠٠. لكن الروائز كانت إيجابية: قام أنجو ببعض الأوصاف حيث إنّ فرضية الرحلة النفسيّة يمكن أن تبقى».

هناك تجارب تُعد الآن كي تبرهن أنّ «البديل Le double» لفرد ما قد يتنقل في غرفة مقفلة مجاورة.

إذاً توصّلت هذه التجارب الى البرهنة أنّه بإمكان هؤلاء الأفراد فصل فكرهم (أو جسمهم) وأن يتواجدوا في أمكنة مختلفة، تصبح حقيقية الإسقاط النجمي الازدواجية أكيدة. لكن بصورة خاصة، كل ذلك يؤيّد نظرية الحياة الخالدة والتي تقول بأنّ شيئاً ما يترك الجسم في لحظة الموت ويحيا بعد الميت. حتى الآن يفترض بنا أن نقول إنّ الأبحاث تتابع دون أن تستطيع أن تبرهن حقيقة هذا البديل double.

لنذكر أيضاً أنّ التجارب التي جرت تحت تأثير التنويم المغناطيسي مع الباراسيكولوجي التشيكي المعروف زدنك رجداك Zednek Rejdak: يطلب مثلاً من عميل منوم بأن يقوم بتجربة خارج جسمه، ونتيجة ذلك يثبت انتباهه على وعاء ملآن ماء موجود في غرفة مجاورة. كان العميل موصولاً بإلكترومیوغراف Electromyographe للدلالة على نشاط عضلاته. عندما يدرك الفرد

بالإنتـرفون وجود وعاء الماء يقوم المجرّبون بإلقاء قطعة ثلج في وعاء الماء. النتيجة الملاحظة: كلّ جسم العميل تقلّص وكأنّه لُمِس.

وفي المحاضرة حول البحث السيكوترونيك في ساوپولـو سنـة ١٩٧٩ تعرف روسل تارج R. Targ على هذه التجارب التي سردها في كتابه « طاقة الفكر ».

عبَّر البيولوجي Lyall Watson عن رأيه بذلك قائلاً: لا يتطلّب الإسقاط النجمي إلاَّ بنداً واحداً من الإيمان: الاعتقاد بأننا اثنين في واحد، وأنّ هناك النظام الجسديّ، ونظام آخر، وأن هذا النظام الثاني متّصل عادة بالجسم، إنّما عنده الإمكانية على تركه في بعض المناسبات، بحيث إنّه يمكن أن يحدث أو أن يصبح أحياناً، وبشكل حقيقي في مكانين معاً.

بالنسبة لهؤلاء الذين تآلفوا مع الخروج من الجسم، يتأكّد لهم حقيقة الجسم النجميّ. عرف الدكتور واتسون أنّ تجاربه الخاصة تعتمد هذه الفكرة، لكنّه لم يستطع.

انكبّ انجو شوان Ingo Swann على دراسة رؤيات من بعيد نجحت تجاربه مع بحّار غواصة. كان هدف التجربة البرهنة بأنّ الموجات ذات الذبذبات الصغيرة تتوقّف تحت الماء في حين أنّ الوظيفة psi تستمر أيضاً، ممّا دلّ على أنّ الوظيفة psi لا تسير بموجات قصيرة الذبذبة (يعاكس ذلك ما حاول كلّ من كوجان Kogan الروسي وپرشنجر الكندي برهنته: التعليمة psi تسير بموجة

الكترومغناطيسية طويلة، لكن ذبذبتها قصيرة.

وللبرهنة بشكل قاطع عن وجود النظام الثاني، وبما أنّه بيولوجي، تمَّ البحث في العلوم الطبيعية عن كل ما هو قريب من هذا البديل النجمي.

قال الدكتور واتسن «من كل ذلك هناك الكثير من الأشياء التي تؤيّد هذه الفرضيّة».

برهنت أبحاث بور Burr بشكل علميّ أكيد أنّ الحيوانات والنباتات والإنسان تمتلك كلّها حقولاً كهربائية قابلة للقياس يمكن تسمية ذلك عند كل فرد «الحقل الحيوي» وهذا الحقل ينفصل عن مصدره عند الموت (لكن هذه القياسات لم يتم تجريبها على الإنسان إبان الموت الكلينيكي. «إنّ انبثاق الأجسام الحيّة لا يعود كلّه بالضرورة الى الإلكترومغناطيسيّة، إنّما يبدو أنّه يخضع الى القوانين الأساسيّة ذاتها، وأنّه لا يوجد فيها شيء يمنع الانفصال في الفراغ بين الجسم وحقله».

إذا سلّمنا أنَّ الجسم النجمي الرديف Le double هو نظام فعّال قادر على إرسال موجات إلكترومغناطيسيّة، لا يعود هناك اعتراض على كون هذا الرديف Le double ينفصل عن مصدره: الجسم الفيزيائي، ويتابع وجوداً مستقلاً. لكن ذلك يبقى فرضية. وأنّ الجّسم النجمي لا يستطيع التلاؤم بقوة مع الحقل الحيوي لأنّ هذا الأخير ليس خالداً عندما ينفصل عن مصدره (هناك برهة حيث لا يرسل أيّة موجة) في حين أنّ الجسم النجمي يفترض أنّه

يعيش الى الأبد بعد انفصاله. ينبغي التنويه هنا بأنّ الجسم الذي يموت عيادياً يبقى حيّاً بيولوجياً. أثبتت تجارب جرت في لينيغراد بواسطة آلة بور Burr لقياس الحقول المغناطيسية، أنّ جسماً ميتاً يرسل إشارات حتى لو توقفت الموجات الدماغية. هناك حالة أيضاً، تكلّم عنها اوستراند وشرودر (في الأبحاث الباراسيكولوجية النزويّة في الاتحاد السوفياتي) ترسل فيها الإشارات بعد الموت العيادي، وكانت هذه الموجات أقوى من تلك التي ترسل من الجسم الحي.

١١ ـ الهالة ومسائلها

غالباً ما نرى البعض يتذكّر مفهوم الهالة ليبرهن أنّ الجسم محاط بجسم فعّال آخر، وهو نوع من الغلاف الفعّال (الهالة) وله حياة خاصة. يوصف وكأنّه انبثاق نور ملوّن على طراز الغيم، يتخذ عند خشونته شكل الجسم، ويمتدّ حوله بأشعة متباعدة عن الجسم الفيزيائي من سنتيمتر واحد الى متر كمسافة وحسب الحالات.

يقول الوسيط (الوسيط هو الصلة بين البشر والأرواح في التنويم المغناطيسيّ) من جهة أخرى: إن الأموات تكون محاطة بنوع من الضباب الذي يترك الجسم عند لحظة الموت، ويقف فوقه أفقيّاً قبل أن يتشتت، ويصف الهالة البشريّة بشكل بيضاويّ منتظم مؤلّف من طبقة خارجيّة غامضة ومن طبقة داخليّة لمّاعة.

بدأت دراسة هذا المفهوم بشكل علميّ. من المعروف أنّ

أعمال الزوجين Kirlian وValentina اللذين عملا على تقديم الروائز المتعلقة بالهالة، وذلك بصنع آلة تستطيع خلق مجال إلكترومغناطيسي على ذبذبة عالية. بهذه الآلة استطاع الزوجان تصوير التفريغات الكهربائية المرسلة من الحيوانات أو النباتات والجسم البشري. هذه الهالات هي فعلاً متغيّرة جدّاً ونتائج الأبحاث هذه قابلة للجدل كثيراً. أطلق العلماء الروس على الهالة اسم «جسم البلازما البيولوجي» أو بيوبلازما. البلازما هي غاز مركب من نوى ذرّات بدون إلكترونات، وذلك بسبب حرارة شديدة الارتفاع مثل الشمس. لكن تجارب أدامنكو Adamenko هي، أيضاً، مجال قوي للتنازع.

فهي تسعى للبرهنة على أنّ هذه الإلكترونات يمكن أن تقذف بشكل متطابق من جسم على الحرارة العاديّة ومن المادة الحيّة. قطع ادامنكو ورقة شجر وصورها فوتوغرافياً. أظهرت الكليشّة الورقة بكاملها مع حدودها وعروقها، لا يمكن أن يظهر الجزء «الطيف» الذي يظهر في الصورة إلاّ إذا تواجد حقل طاقة مستمرّ.

أوجد الأميركيّان ث. موس Th. Moss وك. جونسون K. Johnson آلة تعمل على خط توتر عال حيث يكون بإمكانها تصوير «حقل الإشعاع» لجسم ما. قاما بتصوير أكثر من ٥٠٠ شخص، فكانت كلّ الثوابت مختلفة (ذبذبة، قوة التوتر... الخ) وكأن كل فرد يملك حقل إشعاع وحيد ومعروف وكذلك متغير تبعاً للطقس ورطوبة النهار. قاما أيضاً، بتصوير أشخاص في حالة

الاسترخاء، فأحدث هؤلاء فوارق في القوة الضوئية حسب التمارين التي مارسوها. تحدث المريجوانا marijuana وهي أيضاً، بروز الهالة الضوئيّة.

تغير المعالجة بالتأبير (وخز الإبر) أيضاً القوة الضوئيّة. ركّب دوغلاس دين من جهته آلة فوتوغرافية تشتمل على صفيحة نحاسيّة بإمكانها إيجاد موجات من ٤٠٠٠٠ ڤولت. عندما ألقت المريضة أ. دي لوخ E. de Loach أصابعها على الصفيحة، أحدثت غباراً على شكل ألياف صغيرة باللون الليلكي تشع على بعد سنتيمتر واحد من أنامل الأصابع. لكن عندما شفيت وتمَّ تصوير أصابعها بعد ذلك مباشرة أصبحت الألياف الصغيرة منتصبة بشكل مستقيم، وبعيدة عن الجلد. أضف الى ذلك هذا الشيء المدهش، أن اشتعل اكليل من اللهبة الحمراء القويّة حول الأصابع. ويبدو أنّ هذه الصور تكون نوعاً من البراهين التي تحوّل الطاقة بين المريضة والمعالج (الذي شفي من كيست Kyste).

تؤكد كل هذه الأعمال حقيقة واضحة ألا وهي: يحدث الجسم طاقة تصبح مرئية بتفريغ كهربائي ذي ذبذبة عالية. يرسل إشعاعاً على طول موجة خارج الرؤى العاديّة. لكن أيّة طاقة يقصد بها هنا؟ يرسل الجسم طاقات حراريّة وميكانيكيّة، لكنّ الهالة لا تعود لأيّة واحدة منها بمفردها.

يعتبر باحث آخر من ستانفورد في كاليفورنيا هو وليم تيلر، أنّه عندنا الآن العديد من البراهين التي تؤكّد أنّ الجهاز العضويّ

للجسم هو مضاعف بنظام آخر واحد على الأقلّ. أطلق اسم « المجموعة البشريّة » على هذا التنسيق واعتبر من جهته أنّ التيو صوفيا عند السيّدة بلاڤاستيكي أدّت أفضل تفسير فلسفيّ لهذه الفكرة (انظر المستويات السبعة للوجود حسب رأي التيوصوفيّين) .

١٢ ـ أتكون الطاقة الضوئيّة، دعامة الحياة الآخرة؟

تقودنا هذه الدراسة بما فيها من أدلّة وتجارب عن الحالة خارج الجسم، إلى تأملات تترك فتحة واسعة عن فرضيّة ما بعد الحياة.

يبدو أنّ الجسم البشريّ محاط بجسم آخر مكوّن من الطاقة. طبعاً تتتابع الاختبارات والتجارب لكشف الحقيقة، وهذه التجارب تؤكِّد أنّ فرضية وجود نظام آخر هي أكثر من محتملة؛ تمّ استكشاف هذا النظام الثاني من قبل رجال العلم، ومن قبل الأشخاص الموهوبين بهذه القدرة على الخروج من الوعي، والنتائج متوافقة. هكذا يكون المخلوق البشريّ قد حصل على نسخة غير مرئية عن ذاته لا يمكن إدراكها لا بالحواسّ العاديّة، لكن يمكن تجربتها في حالات الوعي المختلفة.

إذا كان الوعي يملك بالفعل هذه القدرة الغريبة بالانفصال عن الغلاف الجسديّ، حينئذٍ لا يمكن إبعاد الفرضية التي يمكن أن تخلد بعد هدم الجسم. يمكنها متابعة طريقها الخاص بعد ترك الجسم، لكن تأمين خلود هذا الوعي بحاجة إلى دعم مادي

يكون، والحالة هذه، نوعاً من الطاقة التي ينبغي ان تتحدد طبيعتها.

كلّ هذه المستويات للطاقة حيث يعمل الذهني والنفسي لا يزال اكتشافها صعباً، ذلك لأنّ الآلات المستخدمة في البحث عنها ليست دقيقة ومصداقيتها ضعيفة.

يمكننا أن نسمع بتيقّظ الفرضيّات واكتشافات الباحث إتيان جبيه(★) التي ستفتح، بدون أيّ شكّ، رؤى خياليّة على مختلف مستويات الطاقة في الحياة، وذلك خلال العشر سنوات الآتية.

قال جبيه: يعمل الجسم الحيّ كجامع ومرسل للموجات هناك دعامات اهتزازيّة لاقطة للطاقة الاهتزازيّة» نوعيّة. في السلم المادّي يمكن لهذا الركن الاهتزازي أن يكون جزئيّة بسيطة كجزئيّة الماء. في مقياس الطاقة، تتحرّك سلسلة من الاهتزازات، يمكن تمييزها، باتّجاهها وذبذبتها ومداها.

تُعتبر الحياة، إذاً، كتبادل غير منقطع من الطاقات الاهتزازية بواسطة الأركان الاهتزازيّة، حينئذٍ تصبح التناقضات الكلاسيكيّة. مرئي غير مرئي، عقلاني غير عقلاني، واعٍ لا واعٍ، كلّها كليشهات قديمة... إذاً، الحياة لا تتوقّف لأنّ الطاقة لا يمكن أن

(★) اتيان جبيه، مبرّز في الرياضيات، ودكتور في العلوم، درس مرض السرطان النباتي والحيواني والإنساني في مصلحة البيولوجيا الجزئيّة في أورساي وفي معهد كوري، ودرّس في أورساي وفي بروكسل. اقترح نسقاً جديداً من القراءة والمعلومات الوراثية. اهتمّت أبحاثه بالجزئيّة A D N. أوضح للجمهور نظريّة في كيمياء الحياة (١٩٨٤).

تموت...

وإذا كان صحيحاً أنّ الجزء الذي يخلد منا يصبح بشكل طاقة، عندها يمكن أن يفسَّر ذلك ظهور «المخلوقات الضوئيّة» للأموات. أجل، ما هو الضوء إذا لم يكن طاقة؟

أنخلد إذاً تحت شكل طاقة ضوئيّة؟ حتماً لا يستطيع أحد الإجابة عن هذا السؤال، لكن يجب التذكير أنّ الضوء يرافق كلّ الأحداث التي تأتي من العالم الآخر وأنّ كلّ أنواع العالم الروحانيّ تؤكّد ذلـك.

كي تكون حياتنـا الثـانيـة تخصّنـا فعلاً، لا يكفينـا الاعتقـاد بأننا نَحْيا بشكل طاقة مضيئة... أيضاً يجب أن تكون فرديتنا وشخصيتنا مسجّلة في مكان ما في هذا الركن من الطاقة.

١٣ ـ اجتياز مراحل الموت

ميراي عروسة تزوّجت من شاب وسيم، وعندما حملت لأوّل مرة كان فرحها عظيماً، لكنّ الحمل كان فيه بعض المخالفات الطبيعيّة.

عند التوليد أصابها انفجار، ممّـا جعـل حيـاتهـا فـي خطـر. ففي سيارة الإسعاف التي كانت تنقلها الى المستشفى شعرت أنّ ذهنها قد تأخّر، وأصبح رأسها ثقيلاً جداً، بقيت على وعي إلى

أن وصلت إلى المستشفى حيث أحسَّت أنّها تعرّت من ثيابها ومن ثم أمسكها شخص بيدها، وتلقّت المصل والبنج، وشعرت كأنّها تتطاير كقطعة صغيرة من القطن. سيطر لون واحد على مجال الرؤى والتفكير عندها، هو اللون الأزرق. شعرت أنّها دافئة ومرتاحة وفي سعادة تامة. ثم شعرت ببعض الدقات على الرأس، وبعدها لا شيء. غرقت فيما يعرف بالكوما Coma. بدأت الوظائف الحياتيّة تتباطأ عندها الواحدة تلو الأخرى. ما إن أصبحت حالتها يائسة حتى انتعشت من جديد.

١٤ - على حافة الموت

إثر عودتها من حالة الموت الظاهريّ هذا تذكّرت ميراي شيئاً من المرحلة التي مرت بها: رأت حسب قولها دوائر متشابكة بعضها ببعض، وفي هذا الجوّ الأزرق الذي شاهدته؛ شكّلت هذه الدوائر ما يشبه النفق حيث إنّ الدائرة الأولى فيه لونها أزرق (لون البحر)، وفي آخره يتحوّل إلى نقطة بيضاء مضاءة. جمهور من الناس ينتظر هنا. دخلت هذا النفق كي تصل إلى آخره، لكن الجماهير كانت تعيقها، وخلال عبورها النفق رأت أشباحاً، وأشخاصاً غريبة لكن شخصها الآخر (Son double) كان الأكثر إضاءة. فجأة قبل أن تعبر النفق إلى آخره، تذكّرت أن زوجها بحاجة إليها، وبجهد قويّ قرّرت العودة إلى الحياة.

هناك عدّة حالات أشار إليها الدكتور مودي Moody في كتابيه: «الحياة ما بعد الحياة» و«أضواء جديدة على الحياة بعد الموت»

أو في كتاب الدكتور رينغ D. Ring تحت عنوان « حدود الحياة ». تبقى الأمثلة الحيّة هي الأقرب الى كشف بعض الحقائق إذا لم نكن قد تِهْنا في المعابر الغامضة بين الحياة على الأرض والحياة الثانية.

تقول هذه السيّدة: « أنا أعتقد أن هناك حياة أو بالأحرى طريقة عيش تختلف عن حياتنا، كما أشْعُر أن هذه الحياة بعد الحياة هي أهنأ وأسعد من حياتنا الراهنة.

١٥ ـ مراحل الانتقال إلى العالم الآخر

إذا عدنا الى الكتابات التي جاءت على ألسنة اولئك الذين ماتوا « موتاً مؤقتاً »، وإلى كتابات الدكتور مودي Mody وما جـاء على لسانه بالنسبة إلى الموتى الذين عادوا الى الحياة، نجد أن هناك مراحل متشابهة، لا بل شبه متطابقة مع غالبية الذين مرّوا بالتجربة. ويمكننا اختصار هذه المراحل كما يلي:

- شعور ذاتيّ بالموت.
- سماع ضجيج مزعج والدخول في مكان مظلم (نفق).
- ازدواجية الجسم الفيزيائيّ (خارج الجسد).
- لقاء مخلوق ميِّـت.
- سماع صوت وظهور مخلوق من النور.
- عرض لمشاهد الحياة.
- الشعـور باصطدام في حاجز.

ـ رفض وعدم رغبة في الرجوع الى الوراء.

ـ الدخول في النور.

ـ قرار بالعودة الى الحياة.

ـ تغييرات أساسيّة في السلوك.

نشير الى أن الدكتور مودي Dr Mody قد درس تقريباً حوالى مئة وخمسين حالة، وقد صنَّف تجاربه هذه حول الاقتراب من الموت الى ثلاث فئات أساسيّة:

ـ فئة الذين عاشوا بعد أن أعلنت العيادات الطبيّة وفاتهم ثمّ عاشوا.

اـ فئة الذين عاشوا بعد أن وقع لهم حادث خطير جداً وقد رأوا الموت عن قرب.

ـ فئة الذين عاشوا بعد أن مرّوا بمرحلة النزاع الأخير لفترة ثم أصبح بإمكانهم أن يروا ما شاهدوه.

الفصل السادس

الاتصالات بالماوراء

مقدّمة:

« جئنا هذا المساء نطلب من أحدهم (الشيخ الجليل) معلومات تتعلّق بحياة موتى عزيزين على قلوبنا.

يعتبر هذا الشيخ الجليل من أفضل الوسطاء كي يتّصل بالأشخاص الذين ماتوا. تعتبر هذه الموهبة حقيقة وكأنّها عطاء ربّاني، أو بتعبير آخر تتمّ هذه الاتّصالات على مستوى روحانيّ عالٍ جدّاً.

تأمّلت كثيراً هذا الشيخ الجليل الذي يبلغ من العمر أكثر من سبعين سنة، فرأيته يحمل في إطلالته إشعاعاً يجعله يستحقّ فعلاً صفة الجلالة. على الطاولة أمام الشيخ الجليل يوجد صور أموات إنّما دون إطارات. وعندما يتكلّم عن أحد الموتى فإنّه يجعلك تحسّ وكأنّه يتكلّم معه فعلاً بكلّ بساطة، ودون أي تعقيد أو اضطراب.

إنّ مثل هذه المواقف تجعل الفكر الواعي يحتار أمام ما يشاهد، وما يرى خاصة الفكر العلميّ الذي أصبحت الحقائق

أمامه جليّة ومبنيّة على التجربة والخبرة، ومنطلقة من الواقع الملموس، ممّا لا شكّ فيه إنّ التفكير العلميّ السليم يقول: لا يجوز التعصّب ضدّ هذه الأمور ونفيها، أو إطلاق صفات السخرية وعدم الجديّة بها، بل ينبغي القول بأنّ الحقائق العلميّة تبدو جليّة وبسيطة وهناك أمور تجري في عالم ربّما بعيد عن عالمنا أو متاخم له، وعلى العلم أن يقول باحتمال وجود مظاهر معيّنة خارقة للأمور الطبيعيّة، وينبغي بالعلم أن يبحث عنها لاستكشافها ووضع قوانينها ومبادئها بكلّ جدّية ووضوح.

على البساط الحياتيّ أسألْ في المجتمعات تجد الكثيرين يؤمنون بهذه المظاهر رغم أنّ علم الپاراسيكولوجيا يحاول تفسير كلّ ذلك بمظاهر حياتيّة مادّية أحياناً، إلاّ أنّ الروحاني يبقى فارضاً تأثيره وأثره. كيف عسى أن يكون ذلك؟ ماذا جاء على لسان المفكّرين والكتّاب في العالم حول هذا الموضوع؟ كيف يسير عالمنا اليوم نحو هذه الأفكار والاتّصالات وما شابه؟ أسئلة يجب الإجابة عنها إنّما بمعطيات علميّة، ومراجع عالمية جرت في العديد من بلدان العالم.

في حالة تحضير الأرواح يبدو أنّ التفاصيل المعطاة تأتي من الصور المدركة من جانب الوسيط، فلا يستطيع الشيخ الجليل أن يعرف شيئاً من صور الموتى، ولا من أشكال تزيينها، كما أنّه لا يستطيع أن يكتشف أيّة هشاشة، أو عدم الاستقرار من رأس امرأة تجهل كل شيء عن الاعتداء وتلعب الصدفة دوراً مهمّاً في هذه المسألة».

اشتهر في فرنسا اسم إيلان بوڤيه Helène Bouvier التي تستقبل صور الموتى مثل الخسوف: بطريقة غير متوقعة، لكنّها ظاهِرة وواضحة. ففي كتابها « انتصار الروحاني » تقول: بينما كان شخص يستشيرها عن أعماله، وطريقة سيرها كي تكون ناجحة وموفّقة، إذا به يقع في حالة اضطراب، فجأة رأت إيلان بوڤيه عسكريّاً مات في حرب الهند الصينية، مجروحاً في رأسه. وهو يقول: « أنا مسرور جداً بأن أقول لك إنّني هنا في الأعالي، وقد وجدت ابني ». اعتقد الرجل أنّها تعني أخاه الذي توفي بانفجار في رأسه في الهند الصينية وكان قد فقد ابنه الوحيد، وعمره عشر سنوات بحادث. قبل أن تختفي الروح، أضافت: « جئت أفتّش عن امرأتي، ذهبت بدون آلام. وقد علمت إيلان بوڤيه بعد أربعة أشهر باستدعاء من هذا الزائر أنّ زوجة أخيه قد ماتت بنوبة قلبيّة.

تكون هذه الحالة أكثر إثباتاً بقدر ما تكون صورة الفقيد قد فرضت على الوسيط. بينما يكون الزائر قد جاء لرؤيتها لسبب آخر. وكأنّ روح الفقيد قد سعت لوضع الحاجز...

حالة أخرى مثيرة: جاء مجهول يستشير إيلان بوڤيه إذا كان بإمكانها الاتّصال بإحدى نسائه الثلاث المائتات. بعد بضع دقائق من المعاينة، استطاعت الاتّصال ليس مع إحدى النساء بل مع روح طيار من الحرب الكبرى الذي قال لها: إنّه مات في الطائرة وأعطاها الأحرف الأولى من اسمه. وقال لها إنّه صديق زائرها، وقدّم له باقة من الورد، وأنّه سيزور صديقه الذي يجب

ألاّ يخشى شيئاً: رغرغت عينا الزائر بالدموع وصرخ قائلاً: إنّه صديقي جينمر Guynemer ... بعد ذلك توصلت إيلان بوڤيه إلى رؤية صورة الزوجة الثانية التي أحبّها أكثر من غيرها.

في هذه القصّة التي أكّد أحداثها هذا الرجل نجد أنّ للصدفة دوراً في إظهار الصور الدقيقة المدركة من قبل الوسيط. وإذا لم يكن للصدفة دورها إذاً هناك طريقة أُخرى للوصول إلى ذلك يمكن إدراكها فقط عبر الحساسية النفسيّة للسيّدة بوڤيه.

أولاً: الارواحيّة Spiritisme

لقد نشرت حتى اليوم آلاف الأبحاث المخصّصة للأرواحية. نعيد هنا التعريف الذي وضعه جبرايل ديلان G. Delanne في كتابه المعروف تحت عنوان «Le Phénomène Spirite»» والذي نشر عام ١٨٩٧: «الارواحية هي علم يهدف إلى وضع براهين تجريبيّة لوجود الروح وخلودها، بواسطة اتصالات مع أرواح الموتى... تبقى الارواحية دائماً في نظر الجمهور الكبير هرجة الطاولات التي تدور. إلاّ أنّ الزمن قام بدورته وقدّمت هذه العقيدة سلسلة من التجارب الدقيقة المَسُوقة بشكل منهجي، فتؤكّد أن الأنا البشريّة تحيا بعد التفكّك الجسدي...».

يُعتبر جبريال ديلان مع كاردك Kardec أحد حماة الأرواحيّة بالاتّجاه العلمي كما سنرى. فقد حاول أن يثبت انطلاقاً من اعتبارات فيزيولوجيّة وبيولوجيّة، وجود الغشاء الذي يصل الجسد بالروح، وهو غلاف سائل - بخاري شفاف غير مرئي في الحالة

الطبيعيّة، إلاّ أنّه يصبح في بعض الحالات نوعاً من التكاثف أو التنظيم الجزئي المرئي، أو القابل للمس. يكون هذا الغلاف موجوداً أثناء حياة الجسم: إنّه صلة الوصل بين الروح والمادة. عند موت الجسم، لا تنسلخ الروح إلاّ من غلافها الضخم، محافظة على الغلاف الثاني: الغشاء المائع الذي لا تتخلّص منه إلاّ تدريجياً. من هنا يتمّ فهم البنية البشريّة وفقاً لنظريّات مناجي الأرواح:

- يصنع الجسم البشري من مركّبات الكربون.
- الروح من مبدأ الطبيعيّة الإلٰهية، خالدة.
- الغشاء المائع، صلة بين الاثنين، غشاء نصف مادي.

قدَّم ليون دنيز Leon Dénis شكلاً آخـر للارواحية مع تفسير حديث مدهش.

«تتقلَّص معرفتنا عن الكون، أو تتوسّع، وفقاً لعدد حواسّنا ودقّتها... إذا حدث تطوّر عضويّ لبعض الكائنات في بيئات ومناخات مناسبة، تتيح لهم أساليب إدراكهم إمكانيّة الدخول بالاتّصال مع كائنات تنظيمها مختلف، لا يكون ذلك مصدر أمور عجائبيّة، بل مجرد ظواهر طبيعيّـة خـاضعـة لقـوانيـن لا تـزال مجهولة. هذا ما يحدث عبر علاقاتنا مع أرواح الموتى، في كلّ الحالات حيث إنّ وسيطاً يمكن أن يلعب دور الوساطة بين الإنسانين، المرئي وغير المرئي. في مظاهر مناجاة الأرواح هناك عالمان تختلف فيهما التنظيمات والقـوانيـن، وتـدخـل مـرحلـة

احتكاك على هذا الخطّ الفاصل حيث يرى المراقب؛ أو بالأحرى تتفتح أمامه رؤى لامتناهية. ترتسم أمامه عناصر علم عن الكون أكثر شمولاً وأكثر اكتمالاً من علم الماضي مهما كان نوع الامتداد المنطقي. هذا العلم لا يقضي على مفهوم القوانين الراهنة المعروفة، بل يوسعها بنسب ضخمة».

هذه الرؤية لعلم موحَّد للكون تمّ إدراكها حوالى العام ١٩٠٠ ولا تزال هي نفسها حتى عند العلم المتقدّم حاليّاً. يقول هذا العلم بأنّ المادة لا تقبل أن تكون محدودة عند الشيء، أو الأشياء التي نراها، أو نعرفها بواسطة أدوات نضعها. من هنا ينبغي القبول بوجود عالم غير مرئيّ فعلاً، ولا ينقصنا سوى خطوة واحدة.

أجل إنّ ما يجعل الوسيط أسيراً قد يكون نوعاً من الطاقة، ممّا يؤدي إلى القبول بأنّ الحياة الآخرة تحصل تحت شكل من أشكال الطاقة (صوتيّة، حراريّة... الخ). من المعروف أنّ الطاقة يُحتفظ بها، كما يمكن البرهنة أنّ الطاقة تحافظ على المعلومات، بذلك يمكننا الأخذ بعين الاعتبار بأنّها يمكن أن تكون المرتكز الماديّ لتكوين الفرد، ومجموع المعلومات التي كوّنت فرادته. لا نرى في هذه الحالة ما يمنع طاقة من الظهور، بفضل قدرات الوسيط المباشرة على الأشياء.

ثانياً ـ حالة الوسيط Medium

يقول مؤسّس الارواحية ألآن كاردك Allan Kardek: «يتلقّى كلّ شخص في حال كان في وضع طبيعي، أم في حالة الذهول

اتّصالات غريبة في فكره عن الأفكار المدركة سلفاً من قبله قد تكون في صف فئة الوسطاء الموحى إليهم».

قدَّم الأب بيوندي، اختصاصي كاثوليكي في المسائل الأرواحية والپارابسيوكولوجيا التعريف التالي: «الوسيط هو كائن يكون تركيب بنيته الفيزيائيّة والذهنيّة والروحية شاذّاً أو في حالة مرضِيَّة إمّا عرضياً، أو إراديّاً، وذلك لتبديل وحدته النفسيّة. يستطيع أن يسقط وعيه على مستوى مختلف عن مستوى الأحياء أي على الموتى. تصفُ لغة الوسطاء والذين يناجون الأرواح هذه الحالة النفسيّة بالارتقاء إلى كرة المزدوج أو إلى النجمي. يمكن حثّ هذه الحالة من الوعي الخاصّ بواسطة مغناطيسية ممارس آخر وصلاة زمرة، أو حتى بواسطة الاسترخاء التام...».

لهذا التعريف أهميّة، ذلك لأنّه يضع الوسيطيّة على مستوى تجارب الازدواجية، وتجارب حالة القرب من الموت، أو حالات الأحلام. إذاً، يمكننا دراسة حالة الوسيط كحالة وعي مختلفة. تتيح هذه الحالة، إذاً، إمكانيّة «التفرُّع» على نسق من المناقشة بعيداً عن تلك التي تعودنا عليها. الوسيط يكون قادراً على إدراك صور، أو أقوال إنسان ميت يكون قد اقترب من مستوى وجود آخر، إمّا أن يكون ذلك الذي تجسَّد بواسطة ميِّت لإيصال رسالة. لا يصبح الوسيط سوى مكبّر ناقل للصوت، فم يتكلّم للآخرين. تطرح هنا مسألة أيضاً ذلك لمعرفة ما إذا كانت كلّ هذه الصور، أو الأقوال لا تتولّد من نفسيَّة الوسيط، إلاّ أنّ

الأمثلة عديدة، وأحياناً مقنعة، حتى إنّنا لا يمكننا أن ننفي إمكانيّة الاتصال مع حقيقة أُخرى تختلف عن حقيقة نفسيّة الوسيط.

ثالثاً ـ وسطاء تحت المراقبة

منذ ظهور الوساطة، وهي مصدر للشكّ والريبة في أمرها، أفسحت المجال للغشّ والتضليل، وقد أصبحت بالنسبة للدجالين وسيلة سهلة لاستغلال البسطاء.

هكذا قام الأشخاص الذين اهتمّوا بهذه الظاهرة بوضع كلّ الضمانات الممكنة كي تكون كلّ استنتاجاتهم مثبتة ببراهين معقولة.

كان المقصود دائماً وسطاء ذوي آثار فيزيائيّة. لا يكون هناك استقبال كلام فقط من فكر الميت، بل بواسطة الوسيط. لا بدّ هنا من ذكر بعض الوسطاء المعروفين عالميّاً لوضع الأمر في موضعه وسرد الوقائع بكلّ أمانة وإخلاص.

١ ـ حالة أوزابيا بالاّدينو Eusapia Palladiño

قام الطبيب الإيطالي الدكتور لومبروزو Dr. Lombroso (١٨٣٥ ـ ١٩٠٩) باكتشاف أوّل وسيطة معروفة في أوروبا وتدعى أُوزابيا. مولودة في أبروز Abbruzzes عام ١٨٥٤ فقيرة وشبه أُمية. فقدت أُمّها عند ولادتها وشاهدت قتل والدها من قبل

قطّاعي الطرق. عاملتها جدّتها بشكل سيّىء فأصبحت عرضة لهلوسات، وقد عملت خادمة في الخامسة عشرة من عمرها، وكانت تغسل الألبسة. لاحظ البروفسور داميانـي الذي يهتمّ بالروحانيات، وهو أحد زبائنها في غسل الألبسة، أنّها موهوبة نحو الوساطة الشاذّة. نظم لها عدّة جلسات حيث استطاعت أن تظهر مواهبها وقدراتها الغريبة. توصّلت شهرتها إلى الدكتور لومبروزو، ومن ثم إلى باريس إلى المعهد الميتافيزيقي العالمي حيث حضر معها بين ١٩٠٤ و١٩٠٨ أكبر علماء العصر (پيار، ومدام كوري، شارل ريشه، هنري برجون، إدوار برانلي... وغيرهم).

حازت أوزابيا التي تعوّدت على اهتمام الميتافيزيقيين الأوروبيين على مكانة أساسيّة في الصالونات الأوروبيّة، وامتدّت شهرتها إلى نيويورك وروسيا.

تصرّفت أحياناً بتصنُّع، وكانت تغشّ أحياناً. فوجئت يوماً بينما كانت تؤثر على كفة ميزان الرسائل بواسطة شعرة أنَّها أضاعت مواهبها. ورغم بعض أنواع الغشّ التي مارستها كانت مواهبها معروفة بأنَّها غريبة.

حقّق كميل فلاماريون عدّة تجارب مع أوزابيا في صالون منزلها الباريسي. فقد قبل بأنّ الوسطاء قد يغشّون أحياناً لكنّه أكَّد قائلاً: «لا يخدعون دائماً لأنّهم يملكون قدرات حقيقيّة أكيدة».

خلال التجارب، روى قائلاً: بينما كنّا أربعة جالسين حول طاولة، نطلب اتّصالاً لم نستطع التوصّل إليه قام كرسي منجّد بالانتقال والاقتراب منا حوالى ٦٠ سم. دفعته برجلي، فعاد للانتقال نحونا. حدثت هذه الظاهرة في ٢٩ آذار، وتكرر في ٥ نيسان. وقد تحرّكت البرادي أمامنا، وانتفخت، وكانت رياح قويّة قد نفختها. وقد شاهدت ذلك لعدّة مرات.

يقول فلاماريون Flammarion: إنّ هذه الظواهر أكيدة لكلّ مراقب ولكلّ مؤمن أيضاً، إذ لم يكن بمفرده عندما شاهد ذلك، فقد شاهدها كلّ العلماء الذين مرّ ذكرهم سابقاً. فبعد مناقشات عديدة مع العلماء، توصّلنا إلى استخلاص الملاحظات التالية:

ـ لقد تمّ التأكّد من تحريك بعض الأشياء الثقيلة حول أوزابيا بواسطة تسجيلات.

ـ تبدو بعض الحركات وكأنّها تحدث بمجرّد احتكاك الأيدي، وقد تحدث أحياناً بدون ذلك.

ـ يقلّص الوسيط عضلاته بقوّة، لكنّه لا يبدو أنّ له تأثيراً مباشراً على الأشياء المتحرّكة أو المرتفعة.

ـ يُحدث الوسيط، على مسافة، اهتزازات في الأشياء الموجودة في محيطه (ضربات، اهتزازات صوتيّة).

ـ نشعر في محيطه بمظاهر ضوئيّة، بأشكال تشبه الأشكال البشريّة، ويشعر الحاضرون بإحساسات احتكاك.

- تدخل أوزابيا في حالة ثانية، ولا تتذكّر مظاهر وأحداث الجلسات.

عندما نشر هذا المستند، أخذ صدًى عالمياً. ومن ثم اكتشفنا أن أوزابيا، رغم مواهبها تخدع أحياناً. بعد الشكّ بآراء فلاماريون، جرت مقابلات مع العلماء الآخرين، وجاءت أخيراً الصور الفوتوغرافيّة التي أخذها فلاماريون لتؤكّد صدق الروايات التي نقلت عن هذه الوسيطة.

٢ - حالة دانيال دوجلاس هوم Daniel Douglas Home

خلافاً لأوزابيا بالادينو، لم يستطع أحد أن يكشف أقلّ محاولة غشّ. يعتبر هذا المخلوق خارجاً على المألوف. ولد عام ١٨٣٣ في إيكوسيا، وأصبح معاقاً وهو صغير. وكان الناس يقولون عنه إنّه شاذّ. أخذته عمّته معها إلى أميركا حيث عرضت حالته على أطبّاء جامعة هارڤرد لمعالجته، فأعلنوا بعد فترة عدم قدرتهم على شفائه.

تقبّل هوم كل الفحوصات التي طُلبت منه. طلبه لعنده السير وليام كروكس أُستاذ في المعهد الملكي للكيمياء في لندن، ومكتشف عنصره التاليوم وأنبوب كروكس، حيث قام بعدة تجارب وصفها قائلاً: «من بين كلّ الأشخاص الموهوبين بقدرة إنماء قوّتهم النفسيّة والتي تعرف باسم الوسيط أو الوسطاء. كتب كروكس: يعتبر هوم من أشهر هؤلاء الأشخاص. ومن أشهر

الأحداث التي حصلت مع هوم هو تنفيذ قطعة موسيقية على آلة (كانت غالباً الأكورديون) بدون تدخل مباشر، وفي ظروف لا تسمح بأي لمس للآلة، أو أي جسّ لمفاتيحها.

لم يكن كروكس يعتقد بالأشباح، إنّما خلال أعماله أصبح عنده الشكّ بوجود قوّة سحريّة غير مرئيّة حيث إنّ الفيزياء والكيمياء لا تستطيع تفسيرها، أو حتى تفسير وجودها وقد تكون موهبة من الذكاء.

كانت اللقاءات تتمّ عند كروكس مساءً، في قاعة كبيرة مضاءة جيّداً بالغاز، يتم تفتيش هوم وتفحصه قبل كلّ شيء، كما يجري عزل الأكورديون، وتثبيته بشكل جيّد لا يستطيع أي شيء ملامسته.

يوضع الوسيط في هذا الوقت في غرفة مجاورة ولا يكون على علم بطبيعة التجربة. نجعله يأتي ويجلس على كرسي قرب الطاولة ويضع يده عليها، ويستطيع باليد الأخرى أن يلمس الأكورديون من تحت الطاولة؛ للأكورديون مفتاح إنّما موضوع من جهة معاكسة لجهة يد هوم. إذاً تبقى مفاتيح الآلة بعيدة عن متناوله.

يقوم كروكس بمراقبة اليد الموضوعة على الطاولة، ويضع الحاضرون كل واحد منهم رجله على رجلي الوسيط. لا يتوقّف الاختبار إلاّ بعد بضع دقائق، يرى الجميع أنّ الأكورديون يتأرجح بشكل غريب. كما تُسمع أصوات وتبدأ الآلة بإطلاق تنغيمة معروفة جيّداً، ويجري تنفيذها بكاملها.

طلب كروكس عندئذٍ من الوسيط سحب يده الموضوعة على الأكورديون، ووضعها على خشبة، لكنّ الآلة استمرّت بالأنغام... دون أي احتكاك حسّي مع الوسيط. استنتج كروكس وجود قوة نفسيّة لا تقبل المنازعة.

كما استطاع هوك أمام هؤلاء المشاهدين إظهار أشباح تتكوَّن على شكل دخان أو أنها تصبح ماديَّة كليّاً. كما جعلهم يرون أيادي تظهر في الهواء، كما أسمعهم أصواتاً غريبة بدون أسباب ظاهريّة.

أصبح دوجلاس هو الوسيط الأكثر شهرة في الامبراطورية الثانية. ففي بلاط نابليون III نراه يرسل يداً لتحلّ عقدة شال الامبراطورة أُوجيني.

٣ ـ حالة مرتى بيرود

اجتمع في الجزائر عام ١٩٠٥ عند الجنرال نوال Noël في ڤيللا رائعة حوالى عشرة أشخاص، منهم اثنان مميّزان هما: جبريال ديلان G. Delanne مؤسّس اتّحاد مناجاة الأرواح، وأستاذ اختصاصيّ في الطبّ: شارل ريشه الذي نال فيما بعد جائزة نوبل للطبّ.

جاؤوا كلهم من باريس خصّيصاً لحضور الأحداث الغريبة التي تقوم بها فتاة وسيطة تدعى مرتى بيرود. قبل الجلسة طلب ريشه زيارة الفيللا «كارمن» وتفتيشها بالتفصيل حتى الأقبية والمخازن. كما تفحّص الجدران والسطوح وزوايا الصالون المخبأة، وكلّ شيء

موجود هناك بكل عناية. لكنّه لم يكتشف شيئاً يشتبه به.

ولدت مرتى عام ١٨٨٦. فتاة صغيرة جميلة لعوبة لا تحمل أية إشارة لمرض فيزيائي أو عقلي. يقال إنّ باستطاعتها أن تظهر أشباحاً. وتجعل طبقة الهيولي (Ectophasme) مادّية. هذا ما فعلته هذا المساء. قامت بعمليّة تركيز خلال أكثر من نصف ساعة. من وقت لآخر تقف وتزفر طويلاً. ثم تقف بهدوء تنتقل من الصالون إلى حجرة متّصلة بالصالون وراء ستار أحمر، وفجأة ينفتح الستار نصف فتحة، ويظهر نوع من الضباب، أو الدخان يلفّ ويستدير حول نفسه ويقفز، ويستقرّ بشكل سميك ومادّي. وكل ذلك أمام أعين أشهر الأطبّاء، عندئذٍ يبرز رأس أميرة مصريّة جميلة شعرها صوفيّ، ومن ثم يظهر الجسم بكامله..... يُلاحظ اضطراب الأعضاء لدى الحاضرين... دُعوا بعدها للتأكّد من وجود الأميرة حقيقة. استطاع كلّ منهم أن يداعبها بتمرير يده عليها، والتأكّد من نعومة جسمها. بعد ذلك أخذت الأميرة تختفي، هكذا كتب ريشه: قال الجنرال عند ذلك: «ضع يدك وراء الستار وستلمس شعرها» هذا ما فعلته، كما قطع ريشه خصلة من شعرها بطول ١٥ سم، ولما قمت بذلك سمعتها تقول: سريعاً سريعاً واختفت. يبدو أنّ هدف هذا الأميرة كان تحقيق حصولي على هذه الخصلة من شعرها، فبعد ذلك لم أعد أراها مطلقاً. فقد احتفظت بهذه الخصلة من الشعر الناعم الصوفي إلى أن قمت بفحصها في المختبر الذي أكّد أنّها شعر حقيقي، أدّى هذا الحدث إلى ضجة كبيرة، قال البعض إنّها مرتى بيرود نفسها،

لكن الفارق بالقامة واللون وغيره يؤكّد التفاوت الظاهر بينهما.
تابع ريشه تجارب أُخرى مع مرتى بيرود، ورأى بأمّ عينه أشباحاً أخرى. بينما مرتى ذهبت إلى باريس حيث أحيت أيّام الصالونات في مناجاة الأرواح تحت اسم إيڤا كاريرا... وقد فسحت المجال لكلّ أنواع التفتيش والمراقبة والضبط على اختلافها، لكن أحداً لم يستطع أن يتأكّد من أي غشّ، أو ألعاب خفيّة، أو ما شابه، ويبقى السحر كاملاً عندها.

٤ - حالة ويللي شنايدر

حدث لقاء في صالون البارون شرنك - نوتزنك Schrenck-Notzing طبيب ألماني، دعاه توماس مان Thomas Mann الأديب المعروف لحضور جلسة لاكتشاف القدرات العجيبة لوسيط يعرف باسم ويللي شنايدر وهو ميكانيكيّ وطبيب أسنان في مقاطعته. بدا لتوماس مان كأنّه رجل خجول، عمره ١٨ سنة تقريباً من أصل متواضع حتماً.

في هذه الجلسة سيقوم ويللي بارتداء مايو أسود وفوقه رداء نوم البارون عليه أشرطة مضيئة تلمع في الظلام، وتتيح إمكانيّة مراقبة شبح ويللي. قام توماس مان بدور المدقّق في الجلسة. اقترب من الوسيط، وقرّب ركبتيه من بعضهما البعض في حين أنّ شخصاً آخر أمسك بقبضاته.

دخل ويللي بادىء ذي بدء بمرحلة رعب لعدّة دقائق وأخذ يرتجف. تعوّد على إظهار شكل مادي يعرف باسم مينّا Minna...

« مضى ثلاثة أرباع الساعة ولم يحدث شيء، استـراح ويللـي قليلاً. أُعيدت إضاءة الأنوار وتدخين سيجارة. وتمَّ استئناف الجلسة، أخذ أحد الحاضرين مكان المدقّق إذ عليه أن يتكلّم مع مينّا Minna: وقال الوسيـط همسـاً: « أريـد منـديلاً » أخـرج البـارون منديلاً من جيبه، وتركه يقع على الأرض قرب المنضدة. قال الوسيط: إنّ هناك مسافة كبيرة بين المنضدة والمنديل، ارتفع المنديل فجأة، كما أخبر توماس مان، وصعد في الهواء... هناك إمساك داخليّ في هذا المنديل من الداخل، وقوّة ناشطة تتداول بـه تجعله يتغيّر بالشكل فتهزّه وتضغطه خلال ٢ إلى ٣ ثوان، ومن ثمّ بحركة هادئة وأكيدة يعود إلى الأرض. هذا غير ممكن، لكنّه حدث... فلتسحقني العاصفة إذا كنت أكذب » (تـومـاس مان).

بعد المنديل، جاء دور الجرس الصغير الذي سُحب من سلة، ومن ثـم رُنَّ جرس وكأنّه يُدَق من فوق، رُمي وجه الكاتب بحلقة طرية، علبة موسيقى أصبحت تمشي، وأخيراً آلة كاتبة بدأت تعمل لوحدها (توماس مان) سُحبت الورقة بعد الجلسة فكانت الكتابة حوالى السطرين بحروف مختلفة لا معنى لها.

تعود كلّ هذه الأعمال الباهرة إلى مينّا Minna، مـع مسـاعـدة الوسيط ويللي. لكن توماس مان كتب بكلّ بساطة: « كل ما شاهدته ظواهر من الحركات على مسافـة قام بها هذا الوسيط الفتى ويللي، وهو فعلاً قادر على الإثارة، وكلّ أعماله كانت على علاقة سببيّة ضيّقة مع ظاهرة السحر والتنجيم للتجسُّد، أي في

التنظيم السريع الزوال للطاقة خارج جسم الوسيط مع تجسيد طبقة الهيولي لجسم الوسيط. اتّفق كلّ الذين حضروا الجلسة على أنّ العامل الذي ينفذ هذه الأفعال والأحداث الظاهرة يستطيع أن يحرّك الجرس الصغير، أو يرفع المنديل ويستخدم الآلة الكاتبة، لكنّه ليس الروح المعروفة باسم مينا Minna؛ بل الوسيط نفسه الذي استطاع الخروج جزئيّاً من جسده، فيما عدا ذلك، أو هذا القول لا يمكن أن تصبح المسألة مقبولة عقلانياً.

ليست المسألة بسيطة إلى هذا الحدّ، وكيف يمكن تفسير عمليّة الخروج من قبل الوسيط، وكيف استطاع تحويل الشكل البشريّ هذا مع كلّ هذا الوضع الحقيقي؟..

حتماً قد لا نصدِّق هذه الأشياء المرئيّة، ويمكننا دائماً أن نعيدها إلى الأوهام، أو ربّما إلى انخداعات أو غير ذلك، ولكن هناك أمثلة عديدة تؤكّد مثل هذه الأحداث والظواهر...

رابعاً - الاتّصال بالأموات

إذا كان الإنسان الوسيطي أحد الأساليب المستخدمة للاتّصال مع الخفايا والمختفين، فإنّ الكتابة الآلية «الحدسية» هي أسلوب آخر. كثر هم الوسطاء الذين استخدموا وسيلة الاتّصال هذه مع الموتى، وأشاروا إلى تجاربهم. كتبت مارسيلا دي جوڤنيل Marcella de Jouvenel تحت تأثير الإملاء الداخلي لابنها الصغير رولان الذي مات في مرض بدون تقمّص نفسي.

تلقّت السيّدة مونييه Monnier رسائل بالتخاطر Telépathie من ابنها پيار، قتل في الجبهة عام ١٩١٥. وقد نقلتها في كتابها «رسائل من پيار».

تروي مدام إيفون جودفروا وصديقاتها الرسائل التي استوحينها من باكي Paqui التي ماتت في الثامنة عشرة من عمرها (كل هذه الأمثلة منشورة في مؤلفات وكتابات شخصيّة).

أقامت جانّ مورانيه Jeanne Morrannier مناقشة مع ابنها جورج، وهو باحث روحانيّ كبير انتحر عام ١٩٧٣، وقالت: الموت هو وعي، يجري التحدّث معنا من العالم الآخر على عتبة الحقيقة.

بلينا Bellina، تدخل باتّصال مع ابنها المقتول بحادث سيّارة: «الاذن الثالثة» منشورات R. Laffont.

كل هذه «الشواهد عن غير المرئي» إن دلّت على شيء فهي تدلّ قبل كل شيء على وجود حياة ما بعد الحياة.

يلاحظ حالاً أنّ هؤلاء الأشخاص الذين اختفوا عنّا هم غالباً فتيان، توفوا فجأة وبحادث مفجع. هل من الممكن الاستنتاج من ذلك أنّ هذه الرسائل ليست سوى أنواع من التعويضات النفسيّة عند الأمهات، أو الأقارب المفجوعين؟ ممّا لا شكّ فيه أنّ المرتابين والشكّاكين لم يتوانوا عن القول إنّ كلّ هذه الرسائل ليست سوى اختراعات خاصة باللاوعي أو ما تحت الشعوري. حول هذه النقطة بالذات كتب جان بريار Jean Prieur: «تمرّ رسائل العالم الآخر تحت شعور الناقل لكنّها لا تعبّر عن هذا

الشعور بالذات تجتازه على طريقة الضوء الذي يجتاز الشريط الكهربائي. فالشريط يحمل الضوء، لكنّه ليس الضوء ذاته. لم ينفِ العديد من المراقبين تدخل ما تحت الشعور في انتقال الرسائل لكنّهم يؤكّدون أنّه ليس سوى أداة. ليس هو السبب بل الوسيلة.

ماذا يقول هؤلاء الأموات؟

يتدخّلون، قبل كلّ شيء، لإثبات وجودهم في العالم الآخر، صارخين: «أنا حيّ»، ويكون هذا أوّل إعلان لهم.

- «هذا أنت پيار»! صرخت مدام مونيه Monnier مضطربة عندما سمعت صوت ابنها لأوّل مرّة.

- فأجابها: نعم ماما، لا تخافي، أنا حيّ.

بينما يصرخ رولان لأمّه: «علينا أن نقوم بجهد معاً في سبيل الأحياء. علينا أن نفترق قليلاً الآن. بقدر ما تخفّفي من المادّة، تصلين بسرعة إلى هنا»، كما يضيف: «لنقبل بأنّ الجسم ألماسة ولمعانها النفس. يجب أن تفهمي أنّ الشيء الأوّل حسّيّ والثاني مجرَّد غير ملموس، لكنّه مجهَّز بالمادّة. هكذا تجد أنّ كلّ ما تملك له أهميّة، فميزاتك أساسيّة ولا تنْسَيْ أبداً أنّها تنطلق من لحمك. هذا هو السبب الذي من أجله أكرر لك بلا انقطاع بأن تتنوّري، فكلّ إشعاعاتك يجب أن يكون لها ناراً صافية».

تأثّر جبريال مرسال بهذه «التربية» للأم من قبل الولد. وكأنّها في حركة معكوسة. فالولد هنا يجعل أمّه مكان الولد روحياً.

فالميت هو ذاته في المدرسة في حياته الجديدة، إنّه في مرحلة تعلُّم أو تدريب «أنا في قلب عمل عظيم، يقول رولان، أتطوّر في كلّ لحظة. يولد الكمال من الجهود التي نفرضها لرفعتنا».

كما يؤكّد هؤلاء أنّهم في حالة عظيمة من العيش الهنيء. من الغريب ألاَّ نستنتج أنّ كلّ الموتى الذين يتّصلون مع الأحياء يقولون إنّهم يتألّمون، أو يعاقبون أو غير ذلك.

كما يكرّرون جميعاً أن الصلاة تساعدهم، وأنها ضرورية لهم، وكأنّ ذاكرة الأحياء تعطي الحياة للأموات.

يصفون الأماكن التي يعيشون فيها، وكأنّها جميلة للغاية، ويؤكّدون بنوعٍ خاص على المظهر الضوئي لكلّ ما يحيط بهم. أخيراً يتمنّون لأهلهم الانتقال لعندهم، وهذا طلب جيّد بالنسبة إليهم رغم أنّه يخيف الأحياء.

كتب ألآن كاردك Allan Kardec قائلاً: «يقال إنّ مخلوقات غير مرئيّة تتّصل بالأحياء، ولِمَ لا؟ قبل اكتشاف الميكروسكوب، لكنّنا كنا نشكّ بوجود هذه المليارات من الميكروبات والڤيروسات التي تسبّب هذه الأضرار العظيمة في الاقتصاد؟ أين عدم إمكانيّة وجود مخلوقات في الفضاء لا تستطيع حواسنا البرهنة على وجودها؟ هل نحن على معرفة تامة بكلّ شيء، ونطلب من الخالق لماذا لم يجعلنا نعرف أكثر؟ إذا كانت هذه الكائنات ذكية فلماذا لا تحاول هي الاتّصال بنا؟ وإذا

كانـوا على علاقة مع بعض الرجال، أو النساء، يجب أن يؤثروا على المصير وعلى الأحداث. من يدري؟ قد تكون هذه إحدى القدرات الطبيعيّة. اكتشاف العالم غير المرئي... ما هو الأفق الذي يفتحه ذلك للفكر البشري؟..».

مثل هذه الاكتشافات يُفترض فعلاً التعمُّق فيها جيّداً....

خامساً ـ الطاولات المتحركة

أقترح عليك هذا الاختبار الصغير: لا بدّ من أنّك ستجد أحداً في مجتمعك قد حضر، أو شارك في جلسات الطاولات المتحركة. اطلب إليهم كي يَرْووا لك قصّتهم، ثم اسألهم حول التفسيرات التي يقترحونها لهذه الظاهرة.

إطرحْ عليهم بصراحة السؤال التالي: «هل تعتقد أنّ هذه روح ميت قد ظهرت خلال هذه الجلسة؟».

تستنتج عند ذلك ما إذا كانت قصص وحكايات الطاولات المستديرة غريبة للغاية، أو مشوّقة أو مثيرة، فهي تبقى أيضاً بدون تفسير عقلاني.

أجابوا كلّهم بأنّهم دهشوا للظاهرات التي تحدث، لكنَّهم لا يقترحون إجابة أخرى: «لا أدري، لكنّني أعلن أنّ ذلك غريـب». ولا واحد منهم يحاول، ولو ببذل جهد بسيط لوضع تفسير لذلك. كما لا يتجَرَّأ أحد شكلياً على تأكيد وجود ميت، لكنّه يعتقد بعد الجلسة بوجود حياة ثانية بعد الموت. هذه النقطة الأخيرة

يجمع عليها الكثير من الذين طرح عليهم السؤال. لا أرى سبيلاً سوى تذكر شغف القرن التاسع عشر بهذه الأمور، وأنّه بعد مرور أكثر من قرن تقريباً لن تربح مسألة « ما بعد الحياة » شيئاً.

فقد قام كلّ مفكري القرن التاسع عشر بحضور جلسات من الطاولات المتحرّكة: أمثال نيرڤال، دوماس، سيو Sue كوينت. والكتّاب أيضاً أمثال: هوغو الذي جعل الطاولات تتحرّك في جرسي وجرناساي، معتقداً أنّ ابنته ليوبولدين ماتت غرقاً، تتكلّم معه عندما لا يكون جاليله ومحمد ودانت وموليار. استبسل ميثليه في البرهنة على أنّ الأموات تحيا بيننا. كان فلوبير Flaubert حساساً على هذه المسألة: تسأل أبطاله بوفار Bouvard وبكوشيه Pécuchet الطاولات؟..

حالياً أصبحت كلّ الأفعال المستنتجة موجودة بين الظواهر الپارابسيكولوجية. تقدّر في حال تحرّكت الطاولة فإنّ ذلك يعود إلى حركة حدثت بدون سبب معروف ظاهرياً. وفي حال نقلت الطاولات رسالة، فإنّ ذلك يعود إلى توارد خواطر بين الأشخاص الحاضرين والأحياء فقط. لم تقم حتى الآن دراسة رصينة حول هذه المسألة. لا أحد يهتمّ اليوم بالطاولات المتحرّكة، لكنّ بعض المعاهد مثل Standford Research Institute الذي يدرس الپارابسيكولوجيا بشكل عام يستطيع أن يضع إجابات كافية ومقنعة لهذه القضايا.

في حال قبلنا بالافتراض الروحانيّ، يكون هناك فعلاً ظاهرة

التخاطر ليس فقط بين أشخاص أحياء: يكون الوسيط على علاقة تخاطريّة مع روح الشخص الميت.

سادساً ـ الأشباح

قال أحدهم: كتب لي صديقي: «لقد حصلت على موهبة الحصول على براهين حسّية لا تقبل الجدل عن وجود حياة بعد الموت على الأرض، لكنّني لا أتكلّم عن ذلك مطلقاً، لأنّ الموضوع دقيق للغاية» لقد شاهدت هذا السيّد، الذي سأكتم اسمه، وهو شخص رصين هادىء، مدير وكالة مكلّف بإعطاء مقرَّر في مدرسة عامة، وعضو في عدة نوادٍ تختار أعضاءها بعناية.

في مسكنه الباريسي القديم، كان يقضي سهرة هادئة مع زوجته. الاثنان يقرآن في السرير. فجأةً سمعا لهاثاً وتنفّساً مع نفخ، وكأنّه يأتي من ورائهم عن رأس السرير. في هذا المساء دُهشا، لكنّهما لم ينزعجا، ولم يهتمّا بذلك كثيراً. لكن هذا اللهاث تكرّر كلّ مساء ليس لمدّة طويلة، إنّما كان من الممكن إدراكه بشكل جيّد. اضطربت الزوجة، وسألت زوجها الذي طمأنها مازحاً: «لا تخافي إنّه شبحنا».

لم يكن يعتقد فيما يقول... ولو عرف ذلك لتجنّب هذه الملاحظة. بقي الشبح يظهر فعلاً، واتّخذ وجوده صفة العدوانية والخوف، وتدريجيّاً أخذ يتمركز مع هذه العائلة.

تجرّأت هذه المرأة في إحدى الأمسيات أن تبوح لحماتها أنّها

منزعجة من هذا اللهاث غير القابل للتفسير. فعلاً معك حق قالت لها حماتها (التي لا تؤمن بالأشباح).

قمن بخدمة الطاولة بعد الطعام، ولم يبق عليها سوى وعاء من البلّور، وانتقلن إلى الصالون؛ وما إن جلسن على الكراسي حتى سمعن صوت زجاج ينكسر في غرفة الطعام وكأنّ أحداً تناوله وضربه أرضاً فانفجر...

في أحد الأيام، بعد الظهر، بينما كان الزوجان يتناولان الفاكهة في الصالون سمعا خطى على الأرضية الخشبيّة، وقد مرَّ ذلك أمامهما، وعاد دون أن يدركا شيئاً.

في المطبخ عصارة الغسيل تبدأ بالعمل دون أن يديرها أحد، وهي غير متّصلة بالغسالة، أصبحت تدور أو تتوقّف بدون سبب.

في إحدى الليالي، رنَّ جرس الباب، ذهب السيّد X كي يفتح فلم يجد أحداً. اعتقد أنّها حركة من أحد الأصحاب. ما إن عاد إلى سريره حتى سمع من جديد رنين الجرس بإلحاح... من جديد لا أحد. بقي ذلك على أربع مرات. قام بفصل الجرس كهربائيّاً بعود كبريت لكنّ الجرس بقي يرن دائماً، وكأنّ أنامل سحريّة تجعله لا ينقطع أبداً. أُجبر على فصله نهائياً.

تلك هي بعض الحوادث التي سردها السيّد X. إذا إنّ هذه الأحداث تكاثرت بسرعة حتى جعلت جوّ المنزل ثقيلاً ومزعجاً ومتوتّراً. كثرة الصدفة تؤدّي بنا إلى عدم الاعتقاد بها.

حدث أخير قضى نهائيّاً على الزوجين وصدمهما. صباح أحد

الأيام، فور وصوله إلى مكتبه، وبعد أن طلب إليه مديره عملاً ملحّاً ودقيقاً. بعد أن جلس على المكتب ليبدأ بالعمل وجد أن عنده دافعاً قوياً يأمره بالعودة إلى المنزل. ادَّعى أنّه نسي بعض الأوراق اللاّزمة في المنزل، وما إن وصل إلى الصالون حتى شاهد المأساة: أمانة السرّ المغلقة قد انقلبت (من قبل من؟) وقطعت إصبع إحدى بناته. انتقال إلى المستشفى مذهل. وجد الوالد في أمانة السرّ قطعة الإصبع المبتورة يمكن إعادته بسرعة في المستشفى، هكذا تم وأنقذت الفتاة.

هذا الحادث المخيف جعل الوالد أن يأخذ الأمور بجديّة أكثر، فعلاً باديء الأمر، لم يكن يعتقد مطلقاً بالأشباح لكن بما أنّ هذا الشبح توصّل إلى حياة الأولاد يجب القيام بشيء ما ؟ لكن ماذا يفعل؟

قرَّر إعلام طبيب العائلة بذلك. الرجل الوحيد الذي يعرفه منذ طفولته، ولا يعتقد بجنونه. لكن الطبيب لا يدري شيئاً عن الموضوع، ولا يعرف ما يجب فعله. هذه القصة لا تدخل ضمن أعماله واختصاصه. لكنّه قدَّم له رسالة من أحد رفاقه القدماء الذي يعتقد أنّه مات تلقاها حديثاً، وقد كتب فيها: «أعطِ اسمي لمن يكون بحاجة إليه». لا يعرف الطبيب أيّة صلة بين هذين الرجلين اللذين لا يعرفان بعضهما البعض، لكنّه أعطى الرسالة الى عميله.

أخذ السيّد X الرسالة، وحاول الاتصال بصاحبها. فتوصّل إليه أخيراً. لم يكن شخصاً عادياً وقصّته غريبة جدّاً.

خلال حرب المقاومة ضدّ الألمان، تم توقيفه من قبل الألمان وتعذَّب كثيراً، ثم أُرسل للإعدام. بينما كان الجنود يصوّبون بنادقهم إليه سمع أمراً داخليّاً يقـول لـه بـأن ينحنـي إلـى الأمـام وبذلك نجا من الرصاص، وزحف حتى تمكن من الهرب، لا شكّ أنّ أعجوبة خلّصته، وبعد ذلك أصبح وسيطاً.

فور دخوله في منزل يؤكّد وجود روح: «هنا كرسي مكسور. رأيت ذلك يجري أمام عيني بشكل صور» فسرَّ له السيّد X ما جرى معه، وأنّ ذلك غير ممكن، وبعد جدال طويل كاد يعود السيّد X منزعجاً.

قام الوسيط وذهب معه إلى منزله، ولكنّه لم يستطع أن يفعل شيئاً، وبعد عدة زيارات قام بتكرار حركة عدّة مرّات وجد طريق النور للروح المعذّبة. يعتقد بالفعل أنّ هذه الروح لم تجد الطريق التي توصلها إلى حياة سعيدة في العالم الآخر، وأنّ هذه المظاهر ليست سوى نداءات استغاثة. بعد الزيارة الأخيرة مضى الليل بكل هدوء. لم يعد الشبح إلى الظهور. بدا واضحاً أنّه ترك المنزل.

لكنّ القصّة لا تنتهي هنا، فيجب إيجـاد تفسيـر واضـح لهـذا الشبح.

في صباح اليوم التالي، بينما كان السيّد X يدخل غرفة أولاده غير المضاءة تعثَّر بلعبة، أو بشيء آخر. أضاء المصباح فكان مجرّد كرسي صغير للولد، رجْله مكسورة. لهذا الكرسي قصّة مهمّة.

قدّمت جدتهم (لأمّهم) هذا الكرسي لأولاد ابنتها عندما كانت عائلة السيّد X تقطن في الشمال. شقيقة السيّدة X فتاة جميلة وقعت في حبّ جزائري، رفضت عائلتها أوّلاً، ثم قبلت بالزواج، فرافقت زوجها إلى الجزائر حيث اكتشفت أنّ الحياة هناك لم تلائمها: في قرية معزولة وفقيرة، كما كان عليها مشاركة عدّة زوجات. أضاعت الأمل بـالعودة إلى فرنسا. بينما كانت تنتظر ولـدهـا الأوّل اشتـرت جـدّة المـولـود كـرسيّـاً، واحتفظت به. ماتت المرأة خلال عمليّة الولادة دون أن ترى أهلها، والجدّة لم تتعرَّف إلى طفل ابنتها الذي بقي في الجزائر. قرّرت الجدّة في يوم من الأيّام إعطاء الكرسي إلى أولاد ابنتها الأخرى وهي السيدة X.

بالتأكيد كان الكرسي الشيء الذي أدخل الميتة الفتية التعيسة لهذا المسكن الباريسي.

في هذه القصّة الشبح غير مرئيّ. إنّما هناك قصص تظهر فيها الأشباح بشكل مرئيّ.

السيّد م. ب نائب رئيس بلدة شارنت Charentes فور عودته إلى منزله، رأى فجأة عند اجتيازه خطّ السكة الحديدية أمام أضواء سيّارته شبح والده الذي يحبّه، وكان قد مات من مدّة وجيزة، وقد وقف أمامه رافعاً يديه ليمنعه من المرور، ضغط على الكابح ليقف وإذا بالقطار يصفر أمامه في المكان الذي كان موجود فيه شبح والده.

السيّد ريمون س. يسكن بلدة روشفور Rochefort بينما شقيقته المتزوّجة في أميركا تسكن الولايات المتحدة. رغم بعد المسافة كانا يشاهدان بعضهما البعض. وفي أحد الأيام، بينما كان يتناول الطعام مع زوجته في منزلهما والنافذة مفتوحة. وقف فجأة وقفز منادياً باسم شقيقته وقد رآها عبر النافذة في الحديقة، فخرج ولم يجدها، عاد وكأنّه قد أصابه مسٌّ من الجنون. في المساء تلقى برقية تخبره بوفاة مفاجئة لأخته في اللحظة ذاتها التي شاهدها فيها.

مثل هذه الأمثلة تجعلك تفكّر بأمور صعبة فعلاً.

سابعاً ـ انتقال الأشياء

في قصّة الشبح المتعلّق بالكرسي الصغير المكسور، من غير الممكن إيجاد البرهان أنّها فعلاً روح الأخت المسكينة التي أحدثت كلّ هذه الظواهر، وكلّ هذه العدوانيّة (كانت الأختان تحسد كل منهما الأخرى في فتوّتهما). يمكن اعتبار هذا التفسير مقبولاً. لكنّه يتيح المجال لدراسة عدّة نقاط مهمّة في المسألة.

وفقاً لنظريّات الأرواحية، يمكن تفسير الضجيج والضربات كظواهر آنيّة للأرواح، وتحدث كأنّ الجدران والنوافذ غير موجودة، وأنّ الروح هذه تريد أن تلعب دوراً سيّئاً مع سكان المنزل فقط للتسلية... كما أنّها قد تقدّم لها الورود في حالات الرضى والسعادة. تقدّم جانيت ديكروا أمثلة عديدة عندما تروي حياة أمّها «وسيط مدهش، أمٌّ من نوع آخر».

إنّ تفسيرات الروحانيّين مقبولة في حال التزمنا بمعتقدهم المتعلّق بالحضور الحقيقي للأرواح. إنّما يمكننا البحث عن أنواع أُخرى من التفسير.

وفقاً لملاحظات علماء الپارابسيوكولوجيا، وبنوع خاص ملاحظات الأستاذ الكبير هانز بندر Hans Bender الذي درس خلال عدة سنوات ظاهرة انتقال الأشياء بدون سبب معروف تحت اسم ظاهرات بولترجست Poltergeist. يُفترض وضع الفرضيّات من ناحية قدرات بسي Psi المجهولة دائماً من قبل الذين يملكونها.

من بين الظاهرات غير المتوقّعة في البولترجست، تمّت مراقبة انتقالات للأسرّة والألواح والمرايا المتعلقة في الجدران وطيران أواني المطبخ وتراقصها... الخ. تُعزى هذه الظواهر الى وجود ولد يقترب من عمر المراهقة، هذا يعني أنّ الطاقة التي تعمل على نقل هذه الأشياء تعود إلى الطاقة الجنسيّة غير المستخدمة لكنها مكثفة من قبل المراهق (حيث يلعب دوراً مكثّفاً للطاقة). حاليّاً تبقى التفسيرات هاهنا شبه كافية، والتذكير بمفهوم الطاقة المستخدمة بشكل سيىء يبقى غير مقنع بتاتاً.

في الختام يمكن فتح آفاق جديدة على هذه المسائل، واعتبار ظهور الأشباح وغيرها هي نوع من الأحداث التي لا تخضع للسبب والمسبب، أو لقوانين الفيزياء الكلاسيكيّة. قد لا يكون تأثير لقوانين الزمن والفراغ والسببيّة، بل ربّما لا تكفي، أو لا

تصلح لتفسير هذه الظواهر، لذلك ترانا مضطرّين إلى إدخال، أو التكلم على مفهوم التزامنيّة أو نفي السببيّة... الخ. المهمّ أنّ هنـاك أشياء خارجة على الأعراف والقوانين وقد مرَّ معنا أمثلة عـديـدة. على العلوم كافّة أن تتضافر كي نجد لها الأنظمة والعلاقات المناسبة...

الفصل السابع

اعتبارات منهجيّة

مقدّمة:

إنّ هذا الموضوع ينال إعجاب كلّ الناس، وما البحث فيه إلاّ لإيجاد نوافذ نطل منها على العالم الآخر على أمل الوصول إلى قوانين وأنظمة العالم الآخر بالمقارنة مع القوانين الفيزيائيّة والطبيعيّة التي وضعت لعالمنا المادّي هاهنا. أرى أنّه من الممكن أن تتناول هذه المسائل المجالات الأساسيّة الأربعة التالية:

أوّلاً: اعتماد التصنيف في العمل

ليس من الضروري أن يكون كلّ من قارب الموت: أي مات عيادياً، ثم عاد إلى الحياة، قادراً على تذكّر شيء من رحلته هذه إلى الموت، كما أنّ تجارب مشابهة تجعلنا نتعرّف إلى أقرب درجات الموت. لذلك نريد أن نقترح بعض التحديدات، وشكل تصنيفي يكون من شأنه تجنّب كلّ الالتباسات الواردة.

بادىء ذي بدء، يمكننا تحديد تجربة الاقتراب من الموت مثل أية تجربة إدراك واعية، تأتي خلال الاقتراب من الموت، هنا يجب تسجيل كلّ حادثة يتعرّض لها الفرد للموت، أو للقتل،

لكنّه يعود بعدها إلى مجرى حياته الطبيعيّة.

ممّا لا شكَّ فيه أنّ تصنيفاً للتجارب التي تحدث عند الاقتراب من الموت يمكن أنّ يؤدّي إلى لائحة عناصر مشتركة بين هذه التجارب المختلفة، وقد جرت عدة تصنيفات من هذا النوع أدَّت إلى هذه النتيجة أو تلك:

أ ـ يتواجد العميل في موقف يتعرّض فيه لأن يُقتل أو يموت، حتى لو كان عليه لاحقاً أن يخرج من المغامرة سليماً وصحيحاً. يؤكّد أنّه أحسَّ بشعور ذاتيّ من اليقين بالنسبة لقرب حدوث الموت. إلاّ أنّه يجتاز هذه التجربة، ويخرج منها معافى.

ب ـ إذا كان العميل مريضاً بشكل خطر أو مجروحاً، وقد توصّل إلى مرحلة حيث إنَّ الأطباء قد عجزوا عن شفائه وأصبح موته محتّماً: حسب رأيهم، لكن ما يحصل هو أن يمرّ المريض من الموت العيادي الظاهري إلى إعادة الحياة إليه.

ج ـ إذا كان مرض العميل خطراً جدّاً، أو مجروحاً، وقد توصّل إلى حالة الموت العيادي. مثلاً: توقّف قلبه عن النبضان، أو توقّف تنفّسه... إلاّ أنّ جهود إنعاشه أثمرت وعاد إلى الحياة.

د ـ في حال كان المريض في حالة خطرة جدّاً، وقد وافق الأطباء على موته العيادي، وبعد ذلك أجريت كلّ الإنعاشات الممكنة ولم يعد إلى الحياة. إلاّ أنّه بعد فترة طويلة إلى حدٍ ما إذا ما أعيدت إليه الإنعاشات نراه يحيا من جديد.

هـ ـ في حال كان المريض في حالة خطرة للغاية، وقد بدت

مظاهر الموت العيادي، وقد أقيمت كلّ الإنعاشات الممكنة، بعد ذلك أعلن الأطباء وفاته ووقعوا شهادة الوفاة. فجأة وبدون أيّة مساعدة نراه قد استفاق من غفوته (Coma) ومع بعض الإسعافات يعود إلى الحياة.

تجاه هذه التصنيفات هناك أسئلة عديدة ينبغي الإجابة عنها. فهل هناك تحليل علميّ أو إجابة طبّية، أو حتى تشخيص طبّي؟ كلاّ حتى الآن. هنا تبقى مجالات الأبحاث العلميّة مفتوحة بالنسبة لكلّ الفئات المذكورة في التصنيف السابق، يمكن الإشارة إلى الملاحظة التالية: بشكل عام، يمكننا استنتاج تدرّج في العمق للتجارب المجمعة من «أ» حتى «هـ». هكذا نجد أنّ شخصاً حدثت له تجربة من الصنف «أ» يشهد فقط كيف أنّ حياته تنتزع، أو على الأقلّ يراها تعوم خارج جسمه، بينما أولئك الذين عرفوا اقترابات أكثر استطالة يجلبون معهم شواهد أكثر غنى، وبعناصر مختلفة. إنّ الأوصاف الأكثر حيويّة كانت على ارتباط مع اقترابات النماذج «أ» و «د». في حال كانت:

١ - هذا الارتباط غير مأخوذ من قانون مطلق، حتى داخل مجموعة مثلها.

٢ - من أجل إثبات قوانين عامّة، تتناول الارتباطات بين درجة الاقتراب من الموت وعمق التجربة، يكون من الضروري الأخذ بعين الاعتبار بعض الدراسات العلميّة من نوع لم أتناوله في هذا الكتاب.

ثانياً ـ تقنيّات المقابلة

يمكننا القول إنَّ طريقة سؤال الذين شاهدوا مراحل الموت الأولى هي طريقة بحث علميّ أكثر عرضة للاشتباه. فقد يتساءل العديد من القرّاء: «كيف تفعل عندما تسأل هؤلاء الناس؟ وهل إجاباتهم يقينيّة؟».

أليس من الممكن اختيار أسئلة مناسبة. فنحصل على إجابات يجري تحليلها، ونتوصّل بعد تجميعها إحصائيّاً إلى نتائج معقولة. بعد صياغة نتائج المراقبة نتوصّل إلى طرح مسألة حقيقيّة وواضحة. ومن الواضح أنّ بعض التساؤلات توحي ببعض الإجابات، لذلك ليس من الضروريّ تأمين أشياء دقيقة في هذه المناسبة بواسطة دراسة مفهوم الأسئلة من وجهة نظر عامة.

يمكن القول: تكون تقنيّة المقابلة من جهة نظر معيّنة، بالنسبة للروح العلميّة باطلة منذ انطلاقتها؛ يمكننا أن نتساءل نظريّاً ما إذا كانت المعلومات التي يبدو ظهورها من المسؤول لا يكون مصدر السائل عبر أقواله أو أفعاله.

في النهاية ينبغي القول إنَّ السؤال الأفضل هو السؤال الذي يأخذ غالباً معنى مختلفاً، ينبغي معرفته: «كيف تتجرّأ أيّها الشيطان أن تتناول موضوعاً غير لائق مثل الموت العيادي لرجل؟».

اسمحوا لي، يجيب الباحث، أن أقرّ بأنّه عندما انطلقت في هذه الأبحاث، كان البحث يدور حول شخص حدث معه الموت

العيادي وعاد إلى الحياة واقعياً، وقد حاول العديد من الأشخاص تفسير ذلك أو البحث حوله.... كما أنّه لا يوجد أي كتاب أو بحث حول هذا الموضوع يردّ ولو قليلاً على تساؤلات الناس، كما أنّه لا وجود لنماذج مقابلات تجري مع هؤلاء الناس العائدين من الموت. اعتمدت أسلوب التجربة والمقابلات إلى أن توصّلت إلى صياغة بعض القواعد العامة، وبعض النصائح المفيدة في حال وقوع مثل هذه الحالات. ونحن متأكّدون أن بحاثة جدد قد يتوصّلون إلى تغييرات وإصلاحات أفضل.

★ القاعدة الأولى: اظهر وكأنّك مهيّأ بشكل ملائم. يشعر الناس ببعض التكتّمات حيال هذا الموضوع خوفاً من أن يُهزأ بهم أَوْ لا يُعتقد بكلامهم. المهمّ ألاّ تقع في تناقضات، أو تكشف عن مفارقات في الموضوع، وألاّ تتحدّث بلهجة عدوانيّة، أو محقّق فاحص.

★ القاعدة الثانية: إذا حصل أن شعرت بانزعاج عندما تستمع الى الناس يخبرونك عن تجاربهم، تذكّر جيّداً أنّ هذا الانزعاج قد يحدث من أثر الحصر النفسي عندك شخصيّاً أمام الموت. استنتج باحث أنّ الأشخاص الذين عانوا الاقتراب من الموت لا يشعرون إلاّ نادراً بهذا الخوف الذي ينتابنا عندما نفكّر بالموت.

★ القاعدة الثالثة: بالنسبة للصعوبات الملازمة للمسائل التي تحدّثنا عنها سابقاً، اعتقد أنّه أفضل ما يمكن عمله هو صياغة أسئلة تؤكّد مهمّتها الإلزاميّة. يجب أن تبدأ المقابلة بأسئلة تترك

الحقل مفتوحاً على أيّة إجابة كانت، وتحتفظ إلى النهاية بالأسئلة التي تتطلّب أكثر دقّة. يجب البدء مثلاً بسؤال على النحو التـالـي: «هل تستطيع أن تحدّثني عمّا حصل لـك خلال ذلـك؟..» كمـا ينبغي استخدام تعابير أفضل وأكثر سهولة في حال كان المرض في حالة سيّئة إلى حدٍ ما.

ثالثاً ـ النهج العلميّ

كلّ من أراد تقديم نصوص تجارب الأموات كبرهان على الحياة ما بعد الحياة يصطدم بعقبة مهمة: تحتفظ هذه النصوص بطابع الحكاية. فالطريقة العلميّة تشمئزّ بأن تأخذ كبرهان الشاهد البشري الواحد. وبذلك ترتكز إلى ثلاث حجج على الأقل:

ـ قد يكون هذا الفرد في حالة تجرّه إلى الكذب.

ـ قد يكون تذكّره سيّئاً، أو أنّه يوضح بشكل رديء ما شاهده، أو ما حدث معه.

ـ قد نكون ضحيّة هلوسات أو إدراكات وهميّة، خاصة إذا كنّا تحت تأثير صدمة انفعاليّة.

لا بدّ هنا من بعض الملاحظات التي تؤكّد أنّ العلم أثّر كثيراً في هذه المعتقدات. وطوّرها بشكل أفضل. فمن الأمثلة الواضحة نذكر: في أواخر القرن التاسع، بدأ العلم يؤكّد مصدر الحجارة التي تهبط من السماء وأسبابها، وبذلك نفى كلّ القصص الخرافيّة التي كان يعتقد بها الناس قبل ذلك.

من ناحية أُخرى، إنّ الاعتماد على المصدر الوحيد: الإنسان الذي حدث له الموت العيادي، ومن ثم عاد إلى الحياة، أمر غير موضوعي، لأن للذاتيّة دوراً مهماً في ذلك. من ناحية أُخرى ليس هناك مصدر لمعرفة هذه الأمور غير الشاهد البشريّ، لذلك تصبح النتائج أكثر صدقاً كلّما ازداد عدد العيِّنة الإحصائيّة المتّخذة مع تسجيل دقيق لكلّ المعطيات، ومن ثم العمل على دراسة تجارب الأموات.

رابعاً - إيحاءات أوّليّة من أجل بحث مستقبليّ

أحد الاحتمالات الممكنة يكمن في إنشاء فريق دراسات نظامي يتكوّن من عدّة اختصاصيّين في مختلف مجالات العلم والمعرفة، يوحّدون جهودهم من أجل ذلك. أهمّ هذه الاختصاصات: الطبّ، والفيزيولوجيا، وعلم الصيدلة، والفلسفة، والسيكولوجيا، والعلاج النفسي، والانثربولوجيا، وعلم مقارنة الأديان، والتيولوجيا، ووزارة العبادة. مثل هذا الفريق يستطيع أن يحقّق مهمّات عديدة، من بينها هذه:

أ - يستطيع أن يجمع تقارير عن تجارب حدثت مع الأموات بشكل منظّم، ووفقاً لنماذج من الأسئلة المدروسة. مع ملاحظات كلّ اختصاصي.

ب - وضع ملفّات تتعلّق بكلّ حالة من المرض للذين حدثت لهم تجارب، وملفّات تحتوي على كلّ المعلومات العياديّة ممّا يؤكّد وضع العميل الصحّي، أو وفاته العيادي، مع إمكانيّة

استخدام هذه المعلومات في الدراسات الإحصائيّة التي تقام مع عدد كبير من الحالات.

ج - يجب تسجيل الحالات التي قدّمت تحقيقات ذات معنى.

د - يستطيع علماء السيكولوجيا والفلسفة طرح أسئلة أكثر عمقاً للأشخاص الذين عادوا إلى الحياة. ومن تفسير أحداث مغامراتهم...

هـ - قد يكون هناك عناصر بعيدة عن التجربة السابقة، وينبغي دراستها، أو تفسير أوضاعها بشكل منفصل، مثل عمليّات الضجيج أو الصراخ الذي يجعل عند النزاع، ولبعض الأشخاص فقط.

و - دراسة الحالات النادرة التي تحدث في العالم أجمع، والتي لا تدخل ضمن النطاق الذي تكلّمنا عنه عن الحياة ما بعد الحياة، فقد تجد هذه اللجنة حالات جديدة في بلدان بعيدة.

ز - يمكن تكوين لجنة من عدة أشخاص عاينوا الموت الظاهري بغية تبادل الأحاديث والتأثيرات فيما بينهم.

ح - ظاهرة جديدة ينبغي الأخذ بها من الجانب الطبي هو دراسة وضع التيار الكهربائي في الدماغ إبّان الموت العيادي.

خامساً - خاتمة

ننهي هذا الفصل الذي يتكلّم عن مناهج البحث في هذا النطاق بتقديم بعض الملاحظات القابلة لتقديم مساعدة للباحثين

في هذا الموضوع مستقبلاً.

بادىء ذي بدء، أعتقد أنه يُفترض بالباحثين تجنّب الميل لترك أحداث الأموات جانباً، وكأنّها لا تستحقّ الاهتمام... فقد تشكّل عودة إنسان من الموت عمليّة توقيف «الزمن»، أو قلب مفاهيم الكون... الخ.

أرشد الباحثين أيضاً إلى عدم الاعتقاد بكلّ كلمة أو فكرة أو تعبير يلفظه إنسان عاد من الموت إلى الحياة وإن كان ذلك صحيحاً. فكلّ الذين عادوا لم يكن هناك واحد عنده شعور العلم بكل شيء (إحدى صفات الله) فيما يتعلّق بما بعد الحياة.

تبقى غاية هذه الأبحاث الأساسيّة، حسب رأينا هي الكشف عن حقيقة الحياة ما بعد الحياة استناداً إلى تجارب الأموات التي لا ترتكز إلى أسس علميّة موضوعيّة.

حتى الآن تبقى هذه النوافذ العلميّة على الحياة ما بعد الموت غير كافية لتأكيد ذلك علميّاً، وأن الإيمان بالحياة ما بعد الحياة تبقى ضمن إطار الإيمان وما تهدينا إليه الديانات السماويّة.

هذا لا يعني أنّ الأمر مستحيل، إنّما كما مرَّ معنا، نجد أنّ كلّ شيء ممكن مع لجان العمل الجدّي، والبحث المستمرّ، والبرهان القاطع أنّ العلم استطاع أن يخلِّص البشرية من خرافات عديدة، وأنواع وأشكال من الإيمان بأشياء باتت مكشوفة علميّاً.

فهرس الكتاب







